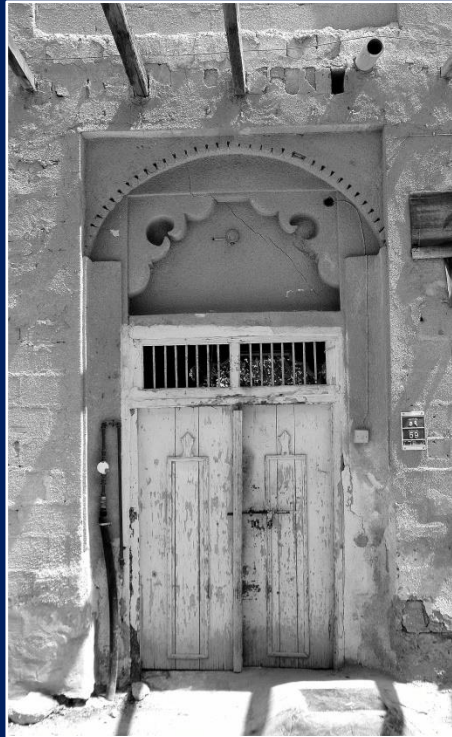


2018

مدونات معمارية عمرانية إنسانية



د. علي عبد الرؤوف

بسم الله الرحمن الرحيم

خيمياء العمارة، الناس والأماكن
An Alchemy of Architecture, People and Places

□ د. علي عبد الرؤوف

2018©Ali A. Alraouf

[An Alchemy of Architecture, People and Places.](#)



الحقوق محفوظة



مدونات معمارية عمرانية إنسانية

منشور برخصة المشاع الإبداعي

<http://creativecommons.org>

مدونات معمارية عمرانية إنسانية



مقدمة

"القراءة تصنع إنساناً كاملاً، والمشورة تصنع إنساناً مستعداً، والكتابة تصنع إنساناً دقيقاً". فرانسيس بيكون

"الكتابة شكلٌ من أشكال الصلاة الكتابة انفتاح جرح ما". فرانز كافكا.
"أكتب حتى أعرف كيف أفكر". جوان ديديون.

"كل ما عليك هو أن تكتب بشكل يومي حتى تصبح كاتباً". جيرالد برينان.

من منطلق إصراري على حتمية الاستمرارية في الكتابة باللغة العربية في المجالات المعمارية والعمرانية والإنسانية والاجتماعية، ومن منطلق حرصي على دور الكتابة في إثراء الوعي وتحفيز التساؤلات واستفزاز العقول، يشرفني أن أقدم الجزء الثاني من مدونات متاحة للجميع للتأمل والنقد والتفكير والمساهمة.

حقاً

أنا اكتب، أنا أدون، إذن أنا موجود.

علي عبد الرؤوف

اغسطس 2018

المحتويات

4	مقدمة
6	المحتويات
7	الجزء الأول

المدونات المعمارية العمرانية

8	شقق سكنية أم مخازن بشرية؟
13	المدن المُقاومة
19	من تجميل المدن إلى خلق أنساق للحياة
25	قل لا للمدرسة: عن البناء للأطفال
31	هل يجوز التعلم من مدينة اسطنبول؟
37	لغز الرصيف في مدن العرب
43	السطح: المكون المُهمش في عمارة العرب
48	الماسة السوداء: من التنمية العمرانية إلى الاستباحة العمرانية
54	معجزة القهوة: المذاق والفضاء
60	أخيرا الهندي يفوز والعمارة أيضا
66	من المسجد إلى المتحف: المشهد العمراني العربي المغاير
71	إنتقالات صيفية على السواحل الشمالية: نحو هاسيندا بنغازي
77	المتحف أداة للمعرفة: حالة متحف الفن الإسلامي، قطر
83	هل تنطفئ أضواء أبراج دبي؟
89	الجزء الثاني

المدونات الانسانية

90	إشكالية عودة جيش مُحمد
97	عن مفهوم الخيانة العذبة "مثقفو وعلماء السلطة"

- 104 عن التلوث اللفظي (ملاح حقبة قشطة وطحن)
110 منقول أو كوبيد cpd
114 "محمد صلاح": بذرة النجاح أم منظومة النجاح؟
118 رمضان بين المصمصة والمحمصة: عذرا.. لن أهنئكم بقدوم
شهر رمضان!
123 الفيسبوك واليد الزرقاء والدائرة الصفراء
127 التعريف بالكاتب

الجزء الأول

مدونات معمارية وعمرانية

شق سكنية أم مخازن بشرية؟



منذ أكثر من أربعة عقود وبالتحديد في عام 1972 استيقظت أمريكا على خبر تفجير مشروعا إسكانيا عملاقا. لم يكن التفجير عملا ارهابيا ولكنه كان عملا رسميا أشرفت عليه الحكومة المحلية لولاية ميزوري. على وجه الدقة في مدينة سانت لويس وفي الخامس عشر من يوليو 1972 في الساعة الثالثة عصرا تم استخدام الديناميت لتفجير المشروع الإسكاني في بروت إيغو المرفوض من المجتمع حيث اطلقت عليه طلقة الرحمة بتعبير شارلز جينكز الناقد المعماري الشهير. منذ هذا التاريخ وطوال عقد السبعينات تعددت أخبار هدم مشروعات إسكانية مختلفة موزعة في أنحاء العالم تأكيدا لرفض العمارة الميكانيكية اللاإنسانية الفقيرة جماليا والمملة تشكليا. أن ما حدث في سانت لويس ميزوري لم يكن فقط سببا لإنهاء حركة الحداثة في العمارة والعمران ولكنه كان صرخة فارقة ضد فكرة القولية والنموذج المتكرر للمبنى السكني بميكانيكية باردة لأماكن مطلوب منها أن تحتوي داخلها عائلات وذكريات وعواطف ونضال حياة ونسمة مساكن ولكنها أوعية لتعليب البشر.

أما ما لم نتعلمه نهائيا في مدننا الشرق أوسطية من أحداث هدم مساكن سانت لويس فهو أن هذه المكعبات الباردة المرتفعة الخالية من الحياة المظلمة المتلاصقة الفاقدة للتعبير عن ذاتية الإنسان لا تستحق أبدا أن يتكرر بنائها. المذهل أننا مازلنا نبنيها كل يوم في عالمنا العربي بل ونتشدد بها على أنها انجازات ونتمادى في التضليل التسويقي فنسميها أبراج الياسمين و عمارات الشمس ومجمعات الزهور. مباني وحشية تنقض على المدينة وتساهم بكل سبق الإصرار والترصد في تشويه الصورة البصرية لسياقات عمرانية كانت تبدو الاجمل والافضل من عقود قليلة مضت. تأمل حالة مثل أحياء جاردن سيتي أو المهندسين أو مصر الجديدة في القاهرة وما حدث بها من أعلى درجات العشوائية الغنية الرسمية التي تتجاوز بمراحل ما يسمونه خطأ وظلما عشوائية الفقراء. قد أتقهم الاسباب التي تجعل البعض نتيجة عدم إدراك وعدم فهم يقبل استخدام هذه الجرائم السكنية لإيواء الفقراء ولكني لا افهم أبدا كيف يقبل إنسان حر محب للحياة متقهما لمعنى وقيمة المسكن أن يضع مدخرات حياته في مخزنا بشريا في الدور الثامن من البرج العاشر من الحي الرابع من مدينة تسمى حدائق الأمل أو تتطلع إلى العالمية فقط بأن تسمي هذه الجرائم المعمارية الإنسانية بيفرلي هيلز الجديدة أو بالم هيلز المعدلة. مازلنا في عالمنا العربي الشرق أوسطي نعاني حيث يجتهد الإنسان ويتغرب سنوات ليدخر ثم يحقق الحلم ويشتري الشقة. عمارات متشابهة متتالية تتحول فيها العائلات إلى أرقام وتتحول الشقق إلى مخازن حقيقية للبشر وتكون

علي عبد الرؤوف

في احيانا كثيرة مخازن عديمة الضوء الطبيعي، ضعيفة التهوية حيث تنعدم الحياة الاجتماعية وتتضاءل علاقات الجيرة وتتدهور ملامح الانتماء.

تأمل المعماري المصري الراحل الرائد حسن فتحي مؤلف كتاب عمارة الفقراء وهو يبدي إعجابه الشديد بمقولة أحد أبطال رواية القلعة للأديب أنطوان دو سانت اكزوبري حيث يقول شيخ الطوارق في الصحراء منزل أبي الذي كل خطوة فيه لها معني. ما أبدع هذه المقولة التي تعبر حقيقية عن نظرة أعمق للمسكن من مجرد غلاف للحماية إلى نطاق إنساني وحيز عاطفي مسكون بالبشر ومسكون أيضا بالمعاني والمشاعر والأفكار. ما أبهر حسن فتحي حقيقة هو فهم الصحراوي البسيط لقيمة مكانه وحضارته وثقافته وتقديره لما يعبر عن شخصيته ووجدانه. هذا المنزل المحمل بالمعاني هو مسكن ملهم ومنزل قريب من القلوب. نحن لا نعيش فقط اغتراب مع حضارتنا وثقافتنا ولكن أيضا مع إنسانيتنا التي نفقدها تدريجيا من وجودنا الدائم في هذه المخازن البشرية محدودة الضوء شحيحة التهوية صاروخية التكلفة. أننا ايضا نرتكب بتكرار هذه الأنماط من المخازن البشرية جريمة في حق الأجيال الجديدة وهي جريمة ثنائية المستوى. فمن جهة فان طفولتهم في تلك الفضاءات المشوهة تظل طفولة محدودة القيمة وفقيرة المعاني. ومن مستوى آخر تفقدهم الحس الجمالي وتجعلهم ومن طفولتهم يقبلون القبح وينسجمون معه وتجهض كل احلامهم بالتجارب المكانية الجميلة الباعثة للأمل والتفاؤل وحب الحياة وتقدير الإنسان والجمال.

أنظر أيضا كيف نبني هذه المساكن للمجهول لا نعلم من سيسكن فيها ولم نتحاور معهم ولم نتعرف على احتياجاتهم. قديما في كل بلاد العرب كانوا يبنون لعائلة ما فهذا بيت آل بو محمد وهذه دار الحاج حسن وهذه حارة اولاد فاضل وهذا فريج الهاجري أما الان فقد حولنا البشر إلى أرقام فنقول عمارة بها عشرين وحدة لإسكان عشرين عائلة ولكننا لا نتساءل ابدا من هم لأنه تسأول اسقطناه من منظومة تصميم وبناء المسكن العربي المعاصر. أحيانا أواجه بفكرة أن الدول العربية بها أزمة اسكان طاحنة وبالتالي لا يوجد ترف للتفاعل مع العائلات فهم لا يحتاجون مسكن بل مأوى يحميهم. هل هذا تبريرا كافيا لإسقاط حقوقهم و إنسانيتهم بل وأدميتهم. ثم أن هذا المنطق يتداعى وانت توثق نفس منهجية التصميم والتخطيط والبناء وهي تتبع في بناء عمارات سكنية فاخرة لعلية القوم يدفعون للحشر داخلها أرقاما تبلغ مئات الألوف من الدولارات. كما ان الدراسات الإحصائية اثبتت ان الكثير من المدن والدول العربية ليس بها عجز كمي في المساكن ولكنه عجز في العدالة والالتزام بأن المسكن حق للمواطن. وصدقت مقولة ينبغي أن تبدأ حقوق الإنسان في المنزل كما ينادي إدواردو غاليانو الروائي البارز.

عشرات الألوف من المعماريين العرب من المفترض ان تكون لديهم الطاقة والقدرة لتقديم طرحا مغايرا يتجاوز القولية الميكانيكية ويفرز افكارا ومداخل مبدعة لتحويل المساكن إلى ملتقيات إنسانية عائلية تلهم من دروس الماضي ولا

علي عبد الرؤوف

تتنازل عن معطيات العصر. مئات من البحوث في كل الجامعات العربية تحذرننا من استمرار التعامل الكمي مع المسكن وتنبه إلى الفجوة التصميمية التي تؤدي إلى فجوة أخلاقية مجتمعية عندما تغلب العائلات في غرف ضيقة مظلمة ثم نتساءل من اين تأتي الكراهية والجريمة والعنف والتطرف. إن بناء المجتمع لمسكانه هو في الواقع تعبيراً عن منهج تفكيرنا في وجودنا وعن الحياة من حولنا. يذكرنا أليخاندرو أرافينا المعماري التشيلي الحاصل على جائزة بريتزكر في العمارة عام 2016 ومنسق بينالي فينيسا للعمارة في نفس العام بأهمية المسؤولية المجتمعية وبأن فلسفته المعمارية تعتمد على إشراك حقيقي للمجتمع والتواضع أمامه ليساهم أفرادها بلا تحفظ في عملية تصميم وتخطيط مساكنه. ثم تأمل مقولة الراحلة المعمارية المبدعة زاهنا حديد لا أعتقد أن العمارة فقط هي عمل المأوى ولكنها يجب أن تثريك وتسعدك وتجعلك تفكر. وإذا كانت مقولة ونستون تشرشل نحن نشكل مبانينا ثم بعد ذلك مبانينا تشكلنا مازالت تثير فضولنا فقد يبدو من الجوهري أن نتوقف عن بناء العواصم الجديدة والابراج اللامعة في مدننا وان نركز على تصميم وتخطيط مساكن تستوعب حياة بشر يتوقون لدفع العائلة ولقيمة الجماعة ولتأكيد أدميتهم ولأهمية امتاعهم بملامح من الجمال والرقى. مساكن تتيح للجميع إمكانية أن يكون لكل خطوة فيها معنى بل ومعاني يحتفظون بها للأبد في قلوبهم وعقولهم. نريد تصميم مساكن نتمكن إليها لا مخازن بشرية نغلب داخلها حتى يتوقف تساؤلنا الدائم لماذا أصبحت مدننا قبيحة ونفوسنا أشد قبحاً.

المدن المقاومة



من أكثر التعبيرات الفنية في مجالات العمران والتخطيط التي شهدت تصاعداً متميزاً في استخدامها في الخمس سنوات الاخيرة، هو تعبير المدن المقاومة Resilient Cities. وقد تبلور الاهتمام بهذا المفهوم التخطيطي بعد ان أعلنت الاجنحة العمرانية الجديدة New Urban Agenda في مؤتمر الأمم المتحدة: الهابيتات الثالث Habitat III الذي انعقد في الاسبوع الاخير من اكتوبر عام 2016، في مدينة كيتو، الاكوادور. صاغت الاجنحة أهدافها السبعة عشر التي تستهدف تحقيق التنمية العمرانية المستدامة بحلول عام 2030. وقد تم بلورة الهدف الحادي عشر لينص على تخطيط المدن والمستقرات البشرية لتكون اكثر احتواءاً واماناً ومرونة واستدامة ومقاومة. يتوافق هذا مع اهتمام شديد بالمدن كمستقبل للمأوى البشري خاصة ان الاحصاءات تؤكد انه بحلول عام 2050 فان اكثر من ثلاثة ارباع سكان الارض سيكونون من سكان المدن. وتوفر الاجنحة

علي عبد الرؤوف

العمرانية الجديدة للحكومات الوطنية، والسلطات المحلية، ومنظمات المجتمع المدني والمخططين، المبادئ التوجيهية والإطار المرجعي العالمي الذي يدعو الى ويعزز المدن المتضامة، الشاملة اجتماعياً، والأكثر اندماجاً. وكذلك تعزز التنمية الحضرية المستدامة ومرونة التعامل ومقاومة تداعيات التغير المناخي وغيرها من المخاطر والكوارث.

حقيقة يدهشني مفهوم المدينة المُقاومة في الاجندة الأممية المعاصرة وأتوقف هنا امام هذا المفهوم الجديد واطرح تساولين تأسيسيين. الاول له علاقة بجوى الاسماء والمفاهيم والصفات التي تصيغها منظمة الهابيتات للأمم المتحدة وتجعلنا وخاصة الدول التي تحاول ان تنمو، نستغرق تماماً في فهمها واستيعابها. مرت المدن العربية والشرق أوسطية بحقبات حاولت فيه الانصياح الكامل لما طرحته الهابيتات من مفاهيم. تارة يتحدثون عن المدينة الافقية ثم الرأسية ثم الممتدة ثم المتضامة ثم المستدامة ثم الذكية وصولاً إلى المدينة المُقاومة. وفي كل حقبة تستنفر الجهود لفهم المقصد من المصطلح ويأتي الخبراء بعقود سخية وينتهي كل شيء الى اللا شيء حيث يسافر الخبراء ويتغير المفهوم وتصبح الموضوعة مفهوم جديد ينبثق فجأة ليتكرر مسلسل استهلاك قدراتنا ومواردنا.

التساؤل الثاني يركز على المفهوم الجديد "المدن المُقاومة". حيث تتبلور مجموعة من الاستجابات التي تستحق النقاش، ومنها لماذا تم تفسير كلمة المُقاومة من منطلق فقط مقاومة المتغيرات المناخية والاقتصادية أو الهجرة

البشرية، ولكنها لم تُفسر من منطلق المدن التي تقاوم الاحتلال والطغيان والظلم وسيول القنابل وفيضان البراميل المتفجرة. المثير للدهشة أيضاً ان هذه الاجندة العمرانية الجديدة لم تتوقع وخاصة ونحن في القرن الواحد والعشرين ان تكون احد المخاطر التي تواجه المدن هي الحصار وخاصة حصار الجيران وابناء العموم والمتحدين في اللغة والدم والدين. كما لم تكن الاسواق النفطية تتوقع الانخفاض المتسارع لأسعار النفط الذي تعتمد عليه بعض الدول ركيزة لاقتصادها، ومنهم بالقطع دول الخليج. والواقع ان دراسة حالة قطر مثلاً وهي تواجه الحصار وتقدم نموذجاً للمدن المقاومة، يثير الاهتمام بسبب الالتزام بمجموعة من الاستراتيجيات التي احدثت الفارق النوعي في كيفية التعامل بصورة مقاومة ومرنة مع التحديات المختلفة. أن الازمة الاخيرة لم توضح نجاح قطر فقط في ادارة الحوار الدبلوماسي ببراعة وحرفية، ولكنها بلورت النموذج القطري في تقديم مدن مرنة ومقاومة قادرة على التعامل مع المتغيرات والمخاطر وقسوة التغيرات دون ان تفقد ايقاع نموها واصرارها على شغل الموقع المتميز الذي حصلت عليه قطر على الاصعدة الاقليمية والعالمية في العقد الاخير، وخاصة في مجالات التنمية والتطور والتحديث المتكامل.

اذن بالقطع يمكن ان نناقش وتبعاً لتوجيهات الامم المتحدة والهياكل مستقبل المدن في العالم، وممكن ايضا ان نشارك في استيعاب المفهوم الجديد او الصفة الجديدة "المدن المقاومة". بل يجدر بنا كدول عربية وشرق اوسطية وخليجية ان

علي عبد الرؤوف

نتفهم اهمية الارتكاز المتصاعد على الاقتصاد المعرفي واعداد البنية الاساسية الخاصة بمحاور التعليم والبحث العلمي والثقافة وانتاج المعرفة مما يجعل التحول من اقتصاد الموارد إلى الاقتصاد المعرفي اكثر سلاسة. وكذلك ضرورة الاستعداد الكامل لحقبة ما بعد البترول بكل ما تعنيه من توجهات اقتصادية وتنموية مختلفة ومبتكرة. وحتمية التعامل تخطيطيا وعمرانيا مع المدن العربية وخاصة الخليجية كإطار للتنمية العمرانية المرتكزة على المعرفة من خلال شبكة متميزة من مراكز الابحاث وحاضنات الابتكار والجامعات والمتاحف والملقيات المعرفية واتاحتها بصورة تتدمج مع قطاعات المجتمع وتحفز المواطن والمقيم بصورة متوازنة. كما يجب الحرص على تكثيف فكرة الشمول والاحتواء الاجتماعي المترن بين كل قطاعات السكان وخاصة في دول الخليج حيث وضوح الفجوة بين المواطنين المحليين والوافدين العاملين وخلق حالة من الانتماء والتقدير وادراك القيمة المتبادلة والادوار المتميزة لكل من المواطنين والوافدين. من الجوهرى ايضا تحول مبادئ الاستدامة والتوافق البيئي من شعارات برفاقة الى ركائز للتنمية تتبلور حول مجموعة من القيم المستدامة ومنها الايجابية البيئية وتحفيز فكرة المش في المدينة والتنمية العمرانية المرتكزة على النقل العام والعمران البيئي الاخضر المستدام والتوازن الاجتماعي والحفاظ على الهوية التاريخية والثقافية.

ولكن الاكثر اهمية من كل هذه العوامل ان نكتف جهودنا ووعينا وقدرات الخبراء والعلماء العرب في اعادة صياغة هذا المفهوم المهم "المدن المقاومة" ليشمل كل

المدن التي تقاوم مستويات أخرى من القوي تتجاوز القائمة التقليدية من المخاطر التي اقترحتها الأمم المتحدة. نريد تقديم خارطة طريق لمدينة غزة المقاومة وهي تتعرض للهجوم والحصار والتجويع وتستباح أراضيها وبساتينها ويحرق زيتونها. نريد ان نقدم منهج للمقاومة الانسانية والعمرانية لمدن رفح والعريش وغيرها من المدن في شبه جزيرة سيناء التي تتعرض للإزاحة الكاملة من الخارطة الجغرافية والذاكرة البشرية بأعمال هدم واخلاء غير مسبوقة. نريد ان نقدم منهاجاً للمقاومة للمدن اليمنية التي تحولت بفعل الاشقاء والجيران من مدن بها بشر الى مقابر عملاقة لا يسمع فيها الا اصوات اطفال تصرخ صرخات ما قبل الموت او انين مصابي الكوليرا. من مسؤوليتنا ودورنا كعمرانيين ومخططين عرب ان ننبه الأمم المتحدة والهائيات ان مفهوم المدن المقاومة يتطلب الا يكون علاقتنا بالمدن السورية والعراقية التي ابيدت بشرا وحجرا، هو مجرد استنكار اعلامي يصحبه المزيد من التعبير عن القلق.

المدن المقاومة لا يصح ان يُقزم فهمها وينحصر فقط في مقاومة التغير المناخي، ولكنه يجب ان يمتد ليشمل التغير في الضمانات التي تسمح بقتل الاطفال وهدم المدارس وسحق المستشفيات واقتلاع اشجار الزيتون والنخيل. لا يصح ابدا ان يُفعل كل هذا بالمدن العربية ثم يقال لنا لا تقاومون لأنكم لا تستحقون فانتم ارهابيين اذا قاومتهم، ونحن وزعمائكم وملوكم وامرائكم الاجلاء نحارب الارهاب. المدن المقاومة هي ايضا المدن التي تقاوم الاحتلال والطغاة

علي عبد الرؤوف

والمستبدين وتتطلع الى الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية، وهي لذلك تستحق كل المساندة من الامم المتحدة والهيباتات وخبراء العمران وتخطيط المدن العالميين والاقليميين على السواء. ان المسؤولية الجمعية المشتركة الان يجب ان ترتقي لكي نعطي للمصطلح "المُدن المُقاومة" حقوقا واجبة وابعادا جديدة وقيماً مستحقة. ان المدينة المُقاومة ليست فقط المدينة التي تساعد نفسها او تساعد الامم المتحدة لتجنب اثار ارتفاع منسوب البحر، ولكنها ايضا المدينة التي تساعد نفسها ونساعدها لمقاومة ارتفاع منسوب الظلم والقهر والعدوان وازدواجية المعايير وسحق الانسان.

من تجميل المدن إلى خلق أنساق للحياة



يستوقفني دائما عندما تعلن البلديات ومجالس المدن والمحليات عن خططها لتجميل المدن في المحيط العربي، واجدها دائما تتمحور حول الإضافات التجميلية التي بالقطع تهذب الحالة الرمادية السائدة في عمراننا العربي بسبب كثافة البناء الخرساني المتراكم بقسوة. ولكن هذه الإضافات لا تحول المدينة الى سياق جمالي حياتي تفاعلي يبعث رسائل الجمال والراقي والذوق الرفيع لكل سكان المدينة وزوارها. ويرجع هذا الاخفاق الى ان مفهوم تنسيق المواقع وتخضير وتجميل المدن City Landscape ، لم يعد قاصرا على اضافة بعض اللمسات التجميلية التي تضيف الى القيمة البصرية للمدينة. فقد أصبح تجميل المدن والشوارع يتجاوز مفهوم زرع الاشجار وإنارة الشوارع واعمال النظافة والصيانة، واصبح الطابع الجمالي الشمولي المنعكس في تصميمات الشوارع والبيادين وتنسيق المواقع وواجهات وألوان المباني وعلاقته بحياة السكان

علي عبد الرؤوف

والزوار وانشطتهم ضرورة جوهريّة في تخطيط المدن. فقد شهدت المدن المعاصرة في العقد الاخير، وخاصة مع تبلور مفاهيم الاستدامة والمدن الخضراء، توجهها نحو اعادة صياغة مفهوم تنسيق المواقع وتجميل المدن. كان المفهوم القديم يعتمد على استخدام الاشجار والنباتات بأنواعها المختلفة وتشكيلاتها المتعددة Soft Landscape وكذلك العناصر المائية في اضاء ملامح جمالية للمدينة المعاصرة. وكذلك كان تطوير وتجميل المدن، يهدف الى تحسين مظهر الميادين والشوارع الرئيسية ومراعاة جماليات النصب التذكارية وأعمدة الإنارة والمقاعد واللوحات الإرشادية ولوحات الإعلانات المسموح بها في إطار الصورة البصرية المدروسة، بالإضافة إلى معالجة بعض المباني بصرياً مع مراعاة الأصول المعمارية والفنية.

تحولات في مفاهيم تجميل المدن

ولكن التحول الذي حدث في العشر سنوات الاخيرة، ونتيجة لبزوغ مفاهيم انسانية المدينة، يبلور ان الابعاد الجمالية الحقيقية في المدينة هي التي تؤدي الى تحسين نوعية الحياة بها Quality of Life. هذه الابعاد التي تجعل المدينة مشجعة على الحياة والسكن والعمل والانتاج، بل والابداع والابتكار. كما ان هذه الابعاد تقدم سياقاً يحفز ثقافة التخيل والالهام وتساعد الفئات المجتمعية المختلفة في تحفيز فكرهم الابداعي وقدراتهم التجديدية. لقد تحولت المدينة، في منظور تجميلها، من نطاق لزراعة الاشجار بغرض مجرد التجميل الى مجموعات من الفراغات الإنسانية الخضراء المفعمة بالحياة التي تساعد طبقات وقطاعات

مختلفة من مجتمع المدينة على التواصل والتفاعل ونقل الخبرات والتجارب الانسانية. لقد اصبحت شوارع المدينة، على سبيل المثال، جميلة ليس فقط لأنها مظلة بالأشجار ومزينة بالورود ولكن لأنها تحولت الى شرايين لحركة المشاة وملتقى للمجتمع ومساحات لامتدادات المطاعم الصغيرة والمقاهي التي تحقق لأفراد المجتمع فرصة التمتع بمدينةهم وان يروا من حولهم وان يراهم الآخرون The Beauty of to see and to be seen. كما انها اصبحت ساحات لعرض فنون وابداعات النحاتين والتشكيليين. ونطاقات للجلوس الفردي والجماعي في بيئة صحية آمنة. كما تحولت فضاءات المدينة الجميلة الى ساحات لاستقبال العروض الموسيقية والاحتفالات الموسمية. حتى العناصر المائية Water Elements وخاصة النافورات والبحيرات لم تعد عناصر مائية جمالية استاتيكية، وانما مجالات لتفاعل افراد المجتمع، وخاصة الاطفال الذين يتفاعلون ويلعبون حول نافورات المدينة ومساحاتها المائية. هذه العروض المائية التي تتوافق مع عروض موسيقية او ضوئية او كلاهما وتخلق طابعا مميزا يستقطب السكان والسائحين كما هو الحال في مدينة دبي التي انشأت نافورة شديدة التميز حول برج خليفة اطول مبنى في العالم، وهذه النافورة بعروضها المائية الضوئية الموسيقية المثيرة تستقطب عشرات الالوف كل يوم من سكان دبي وزوارها.

من جهة اخرى فقد شهد الجانب الآخر او المقوم المكمل من عملية تنسيق المواقع والمعروف بالتنسيق الصلب Hard Landscape العديد من التحولات الهامة في

علي عبد الرؤوف

اساليبه واهدافه. فقد تحولت كل العناصر الموجودة في شوارع وفراغات وميادين المدينة الى عناصر وقيم تلعب ادوارا هامة في تشكيل اللوحة الجمالية الحياتية النهائية للمدينة. لقد انتشرت بشوارع المدن اعمدة الاضاءة المباشرة والغير مباشرة والملونة احيانا لإضفاء طابع جمالي وتشكيلي على روح المدينة في المساء والليل. كما تتوعدت تصميمات المقاعد الثابتة المشجعة على التواصل والتجمع واستخدام شوارع المدينة وفراغاتها المفتوحة. وانتشرت اللافتات واللوحات الارشادية وخرائط المدينة، وكذلك تنسيق الارضيات وممرات الحركة واستخدام المواد ذات الملامس والقيم اللونية المختلفة. كما اصبح للفن مكانة هامة في تجميل المدينة ورفع وعي سكانها الجمالي وحسهم الفني فانتشرت فكرة الفن العام Public Art وخاصة الاعمال النحتية كبيرة المقياس التي تتداخل مع باقي مكونات الفراغ العمراني من اشجار واطاءة ومقاعد وتركيبية لونية.

تجميل والارتقاء بالمدينة: المسؤولية المجتمعية

من المجدي ايضا في هذا السياق ان نشير الى ان تجميل المدينة وحيويتها اصبح مسؤولية جماعية من سكان ينتمون الى مدينتهم ويفخرون بها ويكفي ان نتأمل رد فعل طفل في أوربا او أمريكا نحو من يلقي قمامة او يقطف زهرة فيدافع عنها وكأنها ممتلكاته الخاصة. يجدر بنا هنا ان نتسأل ما الذي جعل هذا الطفل يتحمل هذا المستوى الرفيع من المسؤولية المجتمعية؟ لذا يجب ان يكون تجميل المدينة بمفهومه الشمولي مشروعا قوميا تشارك فيه كل الاطراف من الجهات التنفيذية والوزارات والخبراء والأكاديميين في مجالات التخطيط والعمران وتنسيق

المواقع والعمارة لوضع تصور وخطة عمل لتطوير الطابع الجمالي بالمدن والشوارع والميادين لخلق حالة الانتماء والارتباط بالمدينة.

نحو نموذجاً عربياً معاصراً في تجميل المدن

من الجوهري والضروري في إطار السعي إلى تقديم نموذجاً معاصراً في تجميل المدن الحرص على وجود استراتيجية كاملة للفراغات المفتوحة والمساحات الخضراء وما يلزمها من خدمات وتسهيلات لكل مدن الدولة. ولذا يتم وضع الخطط والبرامج المستقبلية لزيادة الرقعة الخضراء والعمل على زيادة نصيب الفرد للوصول إلى المعايير المثالية المطبقة عالمياً. كما تطور الإدارات المسؤولة عن الحدائق العامة للعمل على التوسع في زراعة الأشجار للطرق والشوارع والأحزمة الخضراء المحيطة بالمدن وزراعتها بنباتات البيئة المحلية الملائمة، والقيام بتوفير جميع سبل الراحة والاستجمام في الحدائق عن طريق إدراج خدمات إضافية حديثة وجديدة تلبي كافة شرائح المجتمع وتتماشى مع الاحتياجات العصرية. ومنها تزويد تلك الحدائق بألعاب ذوي الاحتياجات الخاصة وتوفير خدمة الانترنت المجانية اللاسلكية وبحث سبل ترشيد مياه الري وتحسين جودة مياه الصرف الصحي عبر برامج إدارة فعالة لمياه الري تستخدم التقنيات المتطورة وشبكات الري الحديثة وربط أنظمة الري بالتحكم المركزي. بالإضافة إلى تفعيل دور الاستثمار وتشجيع مشاركة القطاع الخاص والمساهمة كذلك في

علي عبد الرؤوف

نشر الوعي وتنقيف المواطنين والمقيمين بالمناطق الخضراء والنواحي التجميلية
وتقديم الاستشارات الفنية.

ما قصدته في هذا المقال يتبلور في ان طموحنا في مدن عربية جميلة وخضراء
يجب ان يتجاوز مجرد زرع الاشجار وتوزيع احواض الزهور. انما يجب ان
ننطلق الى حقبة المدينة الجميلة لأنها تخاطب الانسان وتقدم له تجربة حياة جميلة
وممتعة ومثيرة ومحفزة ترسخ في ذكرياته وتخاطب عقله ومشاعره وحواسه.
بمعنى اخر ان المدينة الجميلة هي التي تحتفي بجمال العلاقة بالإنسان والمكان
وتسعى لمحاولة الاقتراب من آيات الجمال المتناسق الذي احاطنا به الله سبحانه
وتعالى. ولذلك ينتمي اليها سكانها عظيم الانتماء ويتحملون مسؤولية جماعية في
الحفاظ عليها وصونها وتطويرها لأنها بكل بساطة مدينتهم الجميلة المبهجة التي
يسعدون بوجودهم في فضاءاتها.

قل لا للمدرسة: عن البناء للأطفال



من المثير للتفكير والتساؤل ان يتكرر مشهد الطفل الحزين الباكي الرافض كل الرفض لمحاولات تركه امام او داخل مدرسته في مدن الشرق الاوسط. أتسأل دائما لماذا يبكي الاطفال وتتدفق دموعهم الدافئة امام المدارس، ولا يكون امام الحقائق والملاهي والمجمعات التجارية في العالم العربي؟ لنبدأ بتأمل فقرة دالة من كتاب فارق يتحدث عن قيمة المبنى والعمارة في الحياة: "المبني ليس شيء أو وعاء، ولكنه عملية متواصلة، جزء غير منفصل عن الحياة ينمو ويزدهر ويتدهور ثم يعاد ميلاده ... " تيموثي ميتشل - كتاب استعمار مصر. هل هناك احتمال في اننا نتعامل مع المدرسة على انها مجرد مبنى او وعاء يخزن داخله الاطفال. على سبيل المثال فقد تجاوزت مصر كل المعايير العالمية عندما أعلن مؤخراً ان في بعض مدارسها الحكومية وتبعا لتصريحات وزير التعليم تتجاوز مائة وعشرين تلميذا في فصول سعتها القصوى اربعين تلميذا.

ان المدارس من اكثر المباني تأثيرا في حياة الطفل والنشء واسلوب ومنطق تكوين شخصيته ومن هنا يأتي الحرص على الاهتمام بمبنى المدرسة من حيث مستوياته التصميمية المختلفة والتي تشمل: المستوي التخطيطي ويقصد به الدراسات التخطيطية الخاصة بتحديد موقع المدرسة ونطاق خدمتها وعلاقتها بالمجموعة السكنية التي تستهدفها وتأثير ذلك على مسافات السير للمراحل السنية المختلفة. ثم المستوي العمراني حيث يتم دراسة المجال العمراني للمدرسة وعلاقتها المباشرة بالاستعمالات المحيطة والتأثير المتبادل على الاداء الوظيفي لها، كما يدرس الارتباط العمراني للمدرسة مع المجتمع الذي تبنى خلاله. واخيرا المستوي المعماري من خلال اتباع منظومة متكاملة للتصميم تحقق التوازن بين الثلاثية الاساسية للعمل التصميمي واولها الوظيفة: الاداء الوظيفي المتميز للمبنى، ثم الإنشاء: اختيار النظام الإنشائي الملائم والأمن لحياة الاطفال، ثم الجمال من حيث توافر المعايير الجمالية المؤثرة على شخصية الطفل.

ولكن ظاهرة الكسل الابداعي التي تميز حقبتنا المعاصرة، جعلتنا نفقد المدارس خصوصيتها وتقربها وحولت الى نماذج نمطية باردة تبنى في كل السياقات الاجتماعية والجغرافية على الرغم من اختلافها وتمايزها. ان واحدة من اهم اشكاليات المبنى التعليمي المدرسي في العالم العربي هو فكرة النموذج المتكرر الذي يطرح تساؤلا جوهريا لماذا النماذج النمطية في تصميم المدارس؟ يبررون ويقولون ان من ايجابيات هذا التوجه هو القدرة على بناء عدد سريع من المدارس

في زمن قياسي. هذه فقط ايجابية عندما نرى المدرسة وعاء او مخزناً او مجرد مبنى، أما اذا كنا نراها مكاناً مستقبلاً محفزاً مثيراً للتساؤل والابداع فحتماً لن يكون هذا التوجه بالبناء النمطي التكراري المقولب الفاقد لأي لمحة ايجابية او فهم لمعنى وقيمة المدرسة في تشكيل عقل ووجدان الطفل. فكرة النموذج المتكرر محملة بالمشاكل والسلبيات فهي لا تراعي الشخصية المعمارية والبيئية للمنطقة، ولا تراعي اختلاف المواقع ولا تراعي اختلاف مواد البناء والاكثر اهمية انها لا تراعي اختلاف المرجعيات الثقافية بين طفل المدينة والريف والبراري والصحراء والساحل في سياق جغرافية الشرق الاوسط شديدة التباين والتعقيد والتنوع.

ملاح عمارة الطفل: فصول تحت الاشجار وليس داخل الجدران

تلعب البيئة المبنية التي يتواجد فيها الطفل دوراً جوهرياً في صياغة ملاح شخصيته فالكثير من دراسات علم النفس توضح اهمية السنوات الاولى في تكوين شخصية الطفل وتشجيعه على الاستقلال والابداع والابتكار. ومن هنا تأتي اهمية العمارة ودور المعماري فيما يصممه من مبان تخدم الاطفال في مراحلهم السنية المختلفة وفيما يلي نستعرض الملاح المؤثرة في عمارة الطفل وانعكاسها المعماري. لقد توصلت من خلال مجموعة من الدراسات والابحاث ان عمارة وعمران الطفل يجب ان تتسم بعدة صفات ومقومات جوهريّة تؤهلها للتعامل مع هذه الشريحة الاهم من المجتمع. هذه الملاح يمكن بلورتها فيما يلي:

الإشارة الذهنية: التي تؤثر على العلاقات والاشكال والتكوينات والالوان لتنتج فضاءات معمارية مركبة وايجابية التعقيد وتحمل جرعات لونية وتشكيلية محفزة.

الإشارة الحسية: حيث يتم التعامل مع حواس الطفل من خلال الاصوات والروائح والحركة والتكوينات اللونية والبصرية المؤثرة. ان العمارة وخاصة الموجهة للطفل لا تصمم اماكن لوظائف فقط ولكنها تثير كل حواس الطفل واداركه وتفتح له عوالم لتجارب حسية وادراكية غير مسبوقة.

الرغبة الاستكشافية عند الطفل: التي يتم اشباعها باستخدام الاماكن العالية والابراج وبيوت الاشجار وغيرها. لذلك فالمدرسة تشكيلها المعماري ثري مثير وليس ممل ساذج.

غموض وسرية عالم الطفل: وهي عوالم يعشقها الطفل ويسعد بها، وتتحقق من خلال الاماكن المنخفضة والسرية والكهوف في اطار آمن.

التحرر والانطلاق والعفوية: وتؤثر على البنية الهندسية للمشروع والفراغات الحدائقية الملحقة به ومرونة الفراغات التعليمية وانها ليست فقط فصول ولكنها فصول حدائقية وتعلم في الحدائق الخارجية بل وفصول تحت الاشجار وليس داخل الجدران.

مبدأ التعلم بلا حدود: حيث تنتقل العملية التعليمية او التثقيفية خارج الفصل الى الحديقة وحول الشجرة وجانب جدول المياه او مزرعة الحيوانات.

التجدد والتفاعل الديناميكي: عن طريق امكانية التغيير الديناميكي لشكل المكان وتغير شكل الفصل والمعمل والمكتبة والحديقة من خلال التجدد المستمر في تكوين وشكل ولون المكان.

مقياس الطفل: اهمية مراعاة مقياس الطفل وابعاده الجسدية حتى يشعر بملكية المكان والانتماء اليه.

هناك ايضا إشكالية مهمة في تصميم المدارس في عالمنا العربي ترتبط بفهمنا لقيمة ومعنى المعرفة وعلاقتها بالتعلم والتعليم الرسمي في المدارس. إن المعرفة الإنسانية هي كيان يتشكل بمحصلة معارف رسمية متاحة للجميع، ولكنه أيضاً يتشكل من المعارف الفطرية التي نتجت وتنتج من تفاعل الإنسان مع المحتوي الطبيعي حوله مراقباً أمواجه أو راصدا نجومه أو متتبئاً بعواصفه ونعتقد أن إغفال واحد من هذين المكونين في المبنى المدرسي هو تقليص غير مقبول لدورها المعرفي المتكامل. إذن من الاساسي ان تحقق مدرسة القرن الواحد والعشرين التوازن المعرفي بين شقي المعرفة الرسمي والفطري. التوازن الفطري مبني علي فهم الحياة كتوازن بين قوي ومؤثرات وموجودات (الساكن والمتحرك، المضيء والمظلم، الماء والنار، الجاف والرطب). إضافة الي

علي عبد الرؤوف

تحقيق البعد المعرفي الرسمي في المدرسة (الكتاب، الاسطوانة، الفيلم، المجلة) فإن خصوصية تصميم مدرسة لطفل هي فرصة مناسبة لتحقيق مستوي أعمق من المعرفة في إطارها المتوازن الأشمل (الرسمي / الفطري) ، واستنادا علي حقيقة أن الطفل قادر علي استيعاب نوعي المعرفة.

إن الفرضية التي اطرحها في هذا المقال تتلخص في أنه إذا صممت المدارس كفضاءات محفزة على التساؤل والابداع، متوازنة بين المعرفة المستمدة من الكتاب والمعرفة المستمدة من تفاعل الطفل مع بيئته وطبيعته، وإذا تمايزت المدارس واختلفت في تصميمها وشكلها ومواد بنائها وقيمها الجمالية تبعاً لمكانها، وإذا كانت المدرسة في مجملها هي منظومة من الفضاءات المثيرة الدافعة للاستكشاف، متعددة الالوان، ثرية في رسائلها البصرية. ان توافر كل عناصر هذه المنظومة في مبانينا المدرسية سيوقف مشهد الطفل الباكي امام مدرسته كل صباح لان المدرسة في هذه الحالة يتحول من مكان نمطي بارد متكرر الى مكان مرحب مستقبل لن يبكي امامه الطفل العربي ابداً بل سيندفع سعيداً إلى اختبار فضاءاته التي تنيره وتحفزه وتساعد له ليكون بذرة واعدة لإنسان مثقف مبدع منتمي ومحب لبلده.

هل يجوز التعلم من مدينة اسطنبول؟



تحيرني دائما المسألة الاسطنبولية التركية والتذبذب المقلق في علاقتها مع العالم العربي. في سياقات زمنية معينة وقصيرة، تتحول اسطنبول وكل النموذج التركي إلى خارطة الطريق التي يجب ان تتبعها الدول العربية الطامحة الى التطور والتقدم والاستقلالية واسعاد شعوبها. ويصرح البعض متسائلين متى تحظى الامة العربية بأردوغانها؟ ثم وبعد فترات وجيزة، تتقلب الآية وتتحول تركيا إلى نموذجاً استبدادياً يستدعي فيه حاكم البلاد اسطورته السلطانية ليصبح الحاكم الامر ساجن الحرية ومعتقل الصحفيين وقاهر المفكرين والاكاديميين. هذا التذبذب المقلق يسبب غفلة عن أبعاد وجوانب جوهرية في فهم التطور العمراني والحضري والمعيشي الذي يقيناً يحدث باطراد في المدينة الفريدة اسطنبول. من هذا المنطلق وفي محاولة مني للخروج من فخ التذبذب الغامض بين الاعجاب الشديد والكراهية المتصاعدة، فإنني اركز هنا على مجموعة من الملاحظات

علي عبد الرؤوف

الخاصة بالمدينة وتطورها ونموها ومحاولات اسعادها لمن يعيش بها او يزورها.
وكما طرح المفكر العلامة د. أحمد أمين "فالمدينة الحقّة ... إنّما تقاس بإسعاد
الناس".

ان شهادتي عن اسطنبول تتخذ موقفا محايدا وعلميا وايضا بسبب حقيقة ترددي
بانتظام على المدينة والكثير من المدن الاخرى في تركيا على مدى اكثر من
عقدين لأسباب اكاديمية أو بحثية أو ترفيهية. واسطنبول واحدة من المدن المحببة
جداً لي لأنها تملك التنوع والثراء والعمق الحضاري والزخم الانساني. مدينة ذات
طبوغرافية بديعة وتضم كنور المعمار سنان من مساجد ووكالات وتملك
اطلالات تخطف الابصار والقلوب. مدينة اسطنبول مدينة ملهمة للفنانين
والشعراء والادباء وتطور دائماً من أسطورتها كفضاء كوزمبوليتي فريد يربط
اسيا واوروبا. ألهمت المدينة أورهان باموق، الروائي التركي الفائز بجائزة نوبل
للآداب، سنة 2006 الذي كتب سيرة المدينة فألقى الكثير من الضوء على بداعتها
وتقردها. وهو الذي قال عنها "خيالي يتطلب أن أعيش في المدينة نفسها وفي
الشارع نفسه وفي المنزل نفسه محدقا في المنظر نفسه. إن قدر إسطنبول قدرتي،
وأنا مرتبط بهذه المدينة لأنها جعلتني ما أنا عليه".

الواقع ايضا ان هذه الزيارات المتكررة لهذه المدينة الفريدة، جعلتني قادرا على
متابعة ما يحدث في تركيا عموما واسطنبول خصوصا وبالذات على المستوى

الاجتماعي والعمراني والتخطيطي. دعوني اشرككم في عشرة ملاحظات فقط دونتها في اخر زيارة للمدينة، والتي انتهت فقط من ايام قليلة:

اولا: مستوى النظافة اصبح ملحوظا بطريقة جلية. لا يمكن ان تكون مدينة بهذه الكثافة البشرية والبنائية وتملك ارادة التحول في سنوات معدودة الى مدينة ملفتة في نظافتها. هذه النظافة موثقة بوضوح حتى في الاسواق والشوارع التجارية والساحات العامة، وهو امر ملفت ان تتحول حالة الشعب من الاهتمام بالخاص الى الاهتمام بالعام.

ثانيا: شبكة النقل العام المتكامل التي تغطي المدينة اصبحت مذهلة الكفاءة وتتنوع بين المترو والترام والاتوبيسات والاتوبيسات السريعة ووصولا الى العبارات المائية. ويكفي انني امضيت عشرة ايام في اسطنبول زرت العديد من اماكنها واحيائها، دون ان اركب تاكسي واحد بما في ذلك من والى المطار. هذا التطور في الاعتماد على النقل العام المترابط والذكي اصبح معيارا رئيسيا في تصنيف المدن وتطورها وتحضرها.

ثالثا: يلحظ المراقب للفضاءات والخدمات العامة في المدينة حالة انتماء المجتمع لبلدهم ووعيهم الشديد وبصورة مبهرة. مثلا لاحظت كيفية وقوف الناس امام ابواب المترو واتباعهم الارشادات الخاصة بان الوقوف على الاجناب للسماح لمن هم داخل المترو بالخروج من المنتصف. كنت اراقب في كل محطات المترو واجد معظم الاكبر من الناس شديد الالتزام.

علي عبد الرؤوف

رابعاً: النظافة العامة لأفراد الشعب التركي ومظهرهم وروائحهم مبهرة. انا هنا لا اتكلم عن صفوة المجتمع وما يسمى الطبقة الراقية، ولكني اتكلم عن تأملي لركاب عربة مترو او اوتوبيس نقل عام او موظفين او بائعين. إذن فكرة الطبقة الراقية امتدت لتشمل الكثير من المواطنين العاديين. نعم فرد الشعب العادي اصبح نظيفاً انيقاً، ومساهما في رسم صورة متحضرة عن مدينته وبلده.

خامساً: بكل ما تشهده المدينة من حيوية فإنني ادعي انها اصبحت مدينة مستواها من الضوضاء محدود. بل وانني وفي اماكن عامة كثيرة كنت اندهش من قلة المستوى الصوتي على الرغم من كثافة البشر. مستوى جديد من التحضر يكتسبه الاتراك ويميز المدينة.

سادساً: الانتشار الواضح للفضاءات المفتوحة العامة والحدائق المجانية على الرغم من الكثافة البنائية ولكن هناك حرص على تقديم رئات خضراء متعددة وملحق بها مستوى ممتاز من الخدمات. واستخدام هذه الفضاءات العامة في احتفالات المدينة كما حدث ليلة بداية العام الجديد حيث اشرفت شوارع اسطنبول وميادينها وخاصة شارع الاستقلال وميدان تقسيم بالانوار والاعلام والزينات واعطيت فيها الاولوية الكاملة للمحتقلين والمشاة.

سابعاً: تعدد مشروعات صيانة وترميم واعادة استخدام المباني التراثية ودمجها بصورة فاعلة في حياة المجتمع وكذلك حياة السائح ادراكا لقيمة هذا التراث ومساهمته في تكوين سرديّة حضارية وثقافية مستدامة عن المدينة.

ثامنا: كل العاملين في القطاع الخدمي والامن يرتدون ملابس متناسقة نظيفة ومنهم رجال الامن وعمال النظافة ورجال المطافئ وامن المترو وسائقي الحافلات.

تاسعا: كم ما هو مصنوع في تركيا وبصورة ممتازة يثير السعادة وفي الاسواق العادية والمولات التجارية الحديثة والمناطق الشعبية والمناطق السياحية ترصد قوة وتنافسية المنتج التركي ليس فقط التراثي الحرفي الفني ولكن المتجدد المواكب لمتطلبات وتوجهات العصر.

عاشرا: وهذا لغز الالغاز ومعضلة المعاضل: دورات المياه العامة نظيفة جدا. أه والله. وعندما يحافظ الانسان على نظافة دورة المياه العامة فانت امام تحول فارق في فهم العام والجمعي والمجتمعي ومعنى الانتماء للمدينة وامتلاكها كأنها جزء من امتداد مسكنه ومتجره وكل انواع فضاءاته الخاصة.

قد تكون ملاحظاتي السابقة شخصية، ولا يحق لي تعميمها ولكني ادعي، وبسبب خبراتي في مجالات التصميم العمراني وتخطيط المدن، انني مراقب جيد للعلاقات المتعددة والمركبة بين الإنسان والمكان. كما اعتقد ان ما حدث في تركيا في العشر سنوات الاخيرة انتج مدينة افضل وارقي، والأكثر أهمية، انسانا واعيا وصاحب كرامة ومنتميا ومساهما في مشروعها وصورتها الحضارية، كما انه فخور ببلده. إذن سرديّة اسطنبول المعاصرة تجعلني اقول لا يهم ان تحب أردوغان وتكره السيسي او العكس. ولا يعني ان ما حدث في تركيا انقلاب فاشل

علي عبد الرؤوف

وفي مصر انقلاب ناجح او العكس ولا يهم من يهتف تحيا تركيا او تحيا مصر
الف مرة كل يوم. المعيار الحقيقي هو ماذا يحدث على الأرض ويؤثر على حياة
المواطن ويغيره ماديا ومعنويا واخلاقيا وتنمويا ووطنيا. ومن ثم يستشعره
المراقب الخارجي ويقدم شهادته مؤكدا اننا بصدد مدينة تقدم نموذجا للتغيير
عندما تتواجد الارادة ويتعاضم الاخلاص.



لغز الرصيف في مدن العرب



قد يندهش القارئ حين نترك كل مشاكل المدينة العربية، ونكتب فقط عن مُكون في المنظومة العمرانية والتخطيطية قد يبدو هامشياً محدوداً وهو الرصيف. اتفهم الاندهاش تماماً ولكني أيضاً أتفهم ان جزءاً جوهرياً من مشاكل المدن العربية بل ومن مشاكل العرب ككل، أننا لا نلتفت إلى تأثير العناصر الصغيرة البسيطة والمكونات المتواضعة التي يكون تأثيرها النفسي والاجتماعي والانساني والسلوكي متعظّم وفارق ولكننا لا نعلم أو لا نهتم. على سبيل المثال هل تأملت مرة كيف يمشي الناس في شوارع المدينة العربية؟ هل رأيت التدفقات البشرية وهي تتحرك في بحور الشوارع متعرضة لخطر الاصابة بل وحتى للموت بسبب تداخلها المثير مع حركة السيارات المتسارعة التي لا يعني سائقها كثيراً من يتحرك سيراً على الاقدام؟ استوقفني تكرار هذه الظاهرة حتى في العواصم العربية وليس فقط في مدن صغيرة او بلدات محدودة؟ أما المشهد الذي توقفت

علي عبد الرؤوف

امامه طويلا فهو مشهد كبار السن المتحركين بصعوبة جمّة وهم يستندون على عكازاتهم بينما تمرق السيارات من حولهم وتتدخل فقط عناية السماء لتحافظ على أرواحهم أو يتساقط بعضهم لم تسعفه حظوظه أمام سيارة طائشة أو عربة نقل متجاوزة. يتحرك هؤلاء العجائز في الشارع لأن تعدد مستويات الرصيف الذي خضع لكل انواع الاجتهاد من كل صاحب محل او عقار مطل عليه، يجعل استمرارية الحركة عليه لامتار عدة، مشكلة بل تحدي لا يجرأ عليه الشباب فما بالك بكبار السن.

من خلال هذه المشاهد المتكررة تبلور لدي تساؤل مستمر عن ظاهرة بل ولغز اختفاء الرصيف من منظومة العمران العربي. اول ملامح الاجابة يجسدها تحول الرصيف من حيز مخصص للإنسان الى امتداد فوضوي للمحلات التجارية المطلة عليه، او مكاناً آمناً لانتظار سيارة تمكنها قدراتها الميكانيكية من القفز فوقه. لم أتوقف فقط عند مرحلة التساؤل والاندهاش ولكني حولت اهتمامي إلى القيام بمجموعة من الدراسات البحثية المعنية بدور وقيمة الرصيف في مدن العرب المعاصرة. في احدى هذه الدراسات، استطلعت رأي المارة في بعض الشوارع الواقعة في احياء قاهرية توصف بانها احياء راقية تضم عليا القوم ومستويات وقطاعات متميزة من التركيبة المجتمعية في مصر. المثير ان الدراسات وثقت انه على الرغم من وجود بعض الارصفة الا ان الناس مازالت تتحرك في الشارع بصورة غالبية. عندما طرحت عليهم الاسئلة الاستبائية، كانت الاجابات دالة وبديعة. فقد اجاب الجانب الاكبر من المشاركين بانهم فقدوا الثقة

في الرصيف حتى لو بدأ الأمر في أوله مبشراً. فلو بدأ الرصيف واضحاً وملائماً للسير في بدايته، الا انهم يملكون اليقين انهم سيفاجئون لاحقاً بصاحب محل اخرج بضاعته للعرض في الشارع او شخص اعترض الرصيف كاملاً بسيارته او صاحب عقار وضع سلاسل حديدية لمنع العبور أو مالك كشك لبيع المرطبات تقتق ذهنه عن توسعات تجارية تجاوزت حجم كشكه الاصلي عدة مرات وكلها على رصيف المشاة.

لقد أجمع علماء العمران وتخطيط المدن على أن الرصيف الأمن المخصص للمشاة هو أحد أهم علامات المدينة الراقية المتطورة الصديقة للإنسان. بل أن الرصيف أصبح مسرحاً للحياة الاجتماعية والترفيهية عندما يتيح تخطيطه وتصميمه ومساحته وفضاءاته أن يكون حيز لمرور الناس وايضا لجلوسهم وتفاعلهم واندماجهم مع البيئة الطبيعية. تأمل على سبيل المثال حالة شارع الشانزليزيه الأشهر في مدينة باريس، والذي تمثل مقاهي الارصفة به جزءاً لا يتجزأ من هويته ومذاقه بل إنها مقوم من مقومات شخصية المدينة كلها. ولكن تتحقق هذه الحالة دون أن يُمنع الناس من التحرك الأمن السلس. أو تأمل مثلاً كيف أصبحت عروض الارصفة في بعض مدن اوروبا وخاصة في النمسا وبلجيكا والسويد والنرويج والمانيا، أكبر من عروض حارات الطريق المرصوف المخصصة لحركة السيارات.

علي عبد الرؤوف

أتذكر بوضوح رحلة علمية بحثية قمت بها مؤخراً قادنتني الى بلجيكا، زرت خلالها ثلاث مدن هي بروكسل ولوفن وانتورب حيث قمت بعمل محاضرات عامة في الجامعات ولقاءات مع الباحثين في برنامج الدكتوراه في العمران والتخطيط. القيمة الأهم البارزة في المدن الثلاث هي صداقتها الحميمة للإنسان. كل شوارع المدينة وميادينها وفراغاتها مجنّدة من أجل تجربة مكانية جميلة للإنسان، وهنا نعني الرجل والمرأة والطفل والمسن وحتى اصحاب الاحتياجات الخاصة. ولكنني لاحظت ان الرصيف تقريبا هو حيز مقدس والاعتداء عليه تقريبا شبه منعدم لان هناك اتفاق جمعي على انه حيز للجميع وليس فضاء لإبراز سطوة صاحب محل او جاه مالك عقار أو نفوذ صاحب مطعم أو مقهى.

من افضل ما قرأت في هذه القضية عن رباعية الشارع والرصيف والانسان والمدينة كتاب بعنوان "تصميم الشوارع: السر لمدن وبلدات عظيمة" للمؤلفين جون ماسينجال وفكتور دوفر. ان الدافع الحقيقي للكتاب كان بسبب التوجه العالمي الذي يتحكم الان بقوة في بعض ادبيات العمران والتخطيط والمؤتمرات المهمة، ويعني بفكرة خلق شوارع للإنسان وليس للسيارة. لقد وثق الكتاب تجوال المؤلفان في مدن مختلفة حول العالم في محاولة الى الاجابة عن تساؤل مهم: ما هي العوامل التي تجعل بعض الشوارع جميلة وعظيمة ومحبوبة من سكان المدينة وزوارها؟ وهل حقا ان هذه الشوارع تجعل المدينة كلها افضل واجمل واكثر قرباً من الانسان. هذه المنهجية ساعدت في ان يقدم الكتاب مجموعة من الدروس المستفادة التي استخلصت من شوارع مدن غطت مجالاً جغرافياً متسعاً.

يقدم المؤلفان تفصيلاً عن فن وتطبيق تصميم شوارع صديقة للإنسان ويصر المؤلفان على ان الشوارع الجميلة بل ويصفونها بالعظيمة هي السر الاكبر والاهم في تصميم وتخطيط مدن ومستقرات جميلة وعظيمة. الجدير بالذكر ان الكتاب في تحليله لتصنيفات من الشوارع شملت القديمة والجديدة والمطورة التي خضعت للتحسين والتحديث نبه الى الاهمية الشديدة للرصيف النشط الأمن المفعم بالحياة.

إن الرصيف في صياغته المعاصرة ليس فقط ممراً جانبياً على حدود الشارع، ولكنه حيز انساني ينتج عن جهود تصميمية مخصصة ومبدعة تخلق تكويناً متسقاً يشمل أراضي الممرات وتوافق تشكيلاتها الهندسية، وتوزيع الاشجار المظللة والنباتات واحواض الزهور بديعة الالوان، واماكن الجلوس الثابتة والمتحركة واللافتات الانيقة ووحدات الاضاءة متميزة التصميم، والمظلات وامتدادات مدروسة لبعض المقاهي والمطاعم. كل هذا ومع ضمان الاستمرارية الكاملة لحركة المشاة على الرصيف وبحيث يملك ساكن المدينة او زائرها كامل الثقة انه يستطيع التحرك على أرصفتها دون اي معوقات او حواجز بل رحلة سلسلة جميلة أنيقة يتفاعل فيها مع المدينة ويتذكرها بل ويعشقها احياناً. إن المدخل للتعامل مع الشارع كشريان للحياة الانسانية ومسرح لأحداثها بدلاً من ان يكون مجرد محور مروري يحتقي بالسيارات ويمجدها، يبدأ بمدى الاهتمام بأرصفة الشوارع وتحويلها من ممرات جافة معرضة لأقصى درجات الاعتداء من ملاك وتجار

علي عبد الرؤوف

واصحاب عقارات جائرين الى أحيزة جميلة نشطة متميزة التصميم، وبالتالي
تكون احد أهم العوامل التي تجعلنا نتيقن ان مدن العرب تحب وتحترم وتقدر
الانسان وخاصة السائر على قدميه.

السطح: المكون المهمش في عمارة العرب



لغويا فان كلمة سطح، هي من كل شيء اعلاه، وهي تحمل معاني البسط والاستواء وهي ترتبط بالبيت لأنه الجزء المستوي الذي يسمح للإنسان بان يعتليه ويتسطح عليه مستريحا فيسمى السطح. والاكثر عمقا ما ورد في القرآن الكريم (وَالِى الْأَرْضَ كَيْفَ سَطَحَتْ) [الغاشية : 20]. أي بسطت واستوت حتى جُعلت مهية للحياة الانسانية والحيوانية والنباتية. ومن الذاكرة المعمارية والعمرانية لمدن العرب فإننا نستدعي مفاهيم حدائق السطح وحدائق بابل المعلقة، واحدة من عجائب العالم القديم، وهي عبارة عن حدائق شرفية مكشوفة متدرجة. وعندما نتأمل اسماء الاسطح في ثقافة المجتمعات العربية التقليدية مثل المفرجة والمندرة والتعريشة والجلسة العلوية والشرفة والملقى والليون العلوي، نجدها كلها تعبيرات توضح ان حيز السطح لم يكن ابداً فضاءً ثانوياً هامشياً ولكن الاسم يعني القيمة الجمالية والاجتماعية بل والبيئية. فقد عملت حدائق السطح ومناطقه

علي عبد الرؤوف

المظلة على تحريك الهواء داخل المكان، نظراً لفروق الضغط واختلاف درجات الحرارة ما بين المناطق المظلة والمناطق المشمسة، وبالتالي تساعد على زيادة الاتزان الحراري وتقلل من الظروف المناخية المجهدة للراحة الإنسانية وخاصة في جو مدن الخليج القاسي صيفاً. أما في المشهد المعاصر، فقد تحولت بعض المدن العربية، وخاصة العواصم إلى ما يشبه غابة كثيفة من البنايات الإسمنتية احتلت فضاءاتها ولم يبق أثاراً للون الأخضر لمساحة عشرات الكيلومترات من حيز المدينة المزدهمة بالبشر وصخب الحركة وفوضى لا انتظام إيقاع الحياة.

ولذلك يبدو من الضروري ان أتسأل كيف تحولت الاسطح في مدننا من احيزة حدائقية جميلة انسانية واجتماعية تستقبل الجلسات العائلية، بل والأفراح والليالي الملاح إلى فضاءات مهملة قدرة مشوهة؟ هل تتخيلون ان افراح قطاعات كبيرة من العائلات الشعبية بل والمتوسطة كانت تقام على اسطح البنايات؟ إذن لماذا تحول السطح الى حيز مهمش في عمارات وبنايات مصر ومدن العرب؟ متى سمحنا للجماعات المهمشة بالزحف الى السطح واحتلاه وتحويله الى امتداد لسلبية المدينة وعشوائيتها وقبحها ولا انسانيته؟ متى استبدلنا الحديقة والمجلس والمقعد والتعريشة بخزانات الماء البلاستيكية او بأطباق الاقمار الصناعية سرطانية الانتشار. ان تحليل الحراك في الفضاء الحضري في مدن العرب يبرز مستويين من التغيير. ففي المدينة الخليجية المعاصرة التي مكنتها ثروات النفط من الابتعاد عن الحلول المستدامة ومنها السطح ومظلة سعف النخيل في احد أركانه لتجتمع

تحتها العائلة في الصيف القاسي، ولذا أهمل وسقط من المنظومة التصميمية والجمالية لمنازل تتكلف الملايين. أما في حالة القاهرة ومدن مصر وكثير من مدن العرب فان زحف الجماعات الانسانية المهمشة لم يمتد فقط الى الاحزمة اللا رسمية المحيطة بالمدينة، ولكنها تسربت تدريجيا الى فضاءات الاسطح المنسية المنسوبة للمجهول، فأنشأت فيها عوالمها الخاصة البعيدة العالية السرية. اصبح السطح المهمش مكانا مثاليا لاستضافة قطاعاً مهمشاً بل ومرفوضاً من المجتمع. قطاع فشلت الحكومات بصورة متعاضمة في تقديم حلول تستجيب لمتطلباته. ليس المهم جماليات السطح ولا نظافته ولا منطق ملكيته المبعثرة أو المسؤولية عنه، ولكن المهم جداً أنه يستجيب لاحتياج لا رسمي ولكنه فاعل ومؤثر وملح. إن فضاء السطح لا يجب أن يرى كمكان هامشي ولكنه يمكن ان يصبح حيزاً رائعاً لإعادة الالفة بين سكان عمارة لا يعرفون بعضهم البعض. قد يصبح هنا السطح هو السياق الاجتماعي الجديد، هو ميدانهم او ملتقاهم او حديقتهم وحديقة اولادهم ومكان استرخائهم شريطة ان يصمم بعناية وانسانية.

ان المشكلة في مدننا العربية اننا نتعامل مع كل ما هو عام بأقصى درجات الاهمال واللامبالاة بل احيانا نسميه "بتاع الحكومة". اهلنا دائما الرصيف والشارع والميدان والحديقة والسطح وكل ما توزعت ملكيته وتعددت الأطراف المسؤولة عنه. تصور مثلاً عنصراً مثل دورات المياه العامة التي احيانا تؤكد حالتها والتعامل معها واسلوب استخدامها، أن الاستعمال الحيواني احيانا ارقى

علي عبد الرؤوف

من الاستعمال الانساني وللأسف. هل هذه الظواهر تعكس توجهاً انانياً يجعل الانسان العربي شديد الاهتمام والحرص على الحدود والاحيزة التي يمتلكها (شققته، بيته، سيارته)، ولكنه غير معنيا على الاطلاق بالعام والجماعي والجمعي والمجتمعي. لا اعتقد ان القضية معمارية وعمرانية فقط ولكنها بالقطع ثقافية واجتماعية وسياسية لان المجتمع الذي يشعر بالاطمئنان والعدل والديمقراطية والمساواة يشعر فوراً بالانتماء ويناضل ويكافح من اجل الحفاظ على مجتمعه ومدينته وبلده. أما الخائف المتردد الخاضع القلق فيصب اهتمامه على حيزه الخاص ويرفع دائماً شعار فليذهب الجميع ضحايا الطوفان ما عداي. وفقط للاستشهاد، دعونا نتذكر معا سلوك المصريين وخاصة الشباب منهم وهم ينظفون ميدان التحرير والشوارع المحيطة به عندما شعروا بأقصى درجات الانتماء الوطني والمكاني اثناء الثمانية عشر ايام المقدسة في ثورة 25 يناير الغير مسبوقة.

دعنا نتخيل تحويل متكامل الى سطح العمارة او البناية الى منظومة بيئية جمالية انسانية منتجة وغير ملوثة بل ومصدرة للطاقة. ان عملية تحويل السطح الى حيز بيئي اجتماعي لا تقف فقط عند تنظيفه ووضع احواض للنباتات ولكن بالتعامل المتكامل معه وتحويله الى حديقة متكاملة بها الجاني الجمالي التريني وبها الجاني الانتاجي وخاصة لأنواع من الخضروات والفواكه والاعشاب الطبية التي يحتاجها المنزل. وهي ايضا عملية تصميمية تخطيطية متكاملة لأنها تشمل تحوي جلسات مظلة ومريحة تسمح بالتفاعل الاجتماعي بين افراد العائلة او البناية او

مع ضيوفهم واصدقائهم وقد نضع مكانا بسيطا للشواء ونعتمد على نظم إضاءة متولدة من الطاقة الشمسية. يمكن لنا ايضا في هذا السياق توثيق بعض التجارب المحدودة التي حاول فيها شباب من النشطاء البيئيين والمعماريين في الاردن والكويت ولبنان من نشر الوعي بأهمية تحويل أسطح البنايات إلى حدائق تساهم في الحفاظ على البيئة ومنح جمالية للمكان وتوفير مكان للتعارف الاجتماعي.

الواقع ان الاهتمام بالأسطح في مدن العرب يهدف إلى تحسين الحياة وجعلها أكثر انسانية واستدامة. اعتقد ان عناصر بسيطة في عمارة وعمران مدن العرب مثل الرصيف والسطح يمكن ان تُحدث تغييرا نوعيا وفارقاً اذا تم التعامل معها تصميمياً بكل اخلاص من قبل المعماريين والعمرانيين ومخططي المدن. وايضا اذا تكاتف جهود الدولة ومشروعها الاجتماعي والثقافي والسياسي لتحفيز الناس على الانتماء والدفاع عن العام المجتمعي وتطويره والحفاظ عليه بنفس قدر حرصهم وسعادتهم بملكياتهم الخاصة الذاتية. فلنحاول ان نفعل التحول لهذا الفضاء المهم السطح من كيان مهمش سلبي منسي الى شرفة حدائقية ممتعة قد تستوعب افراحا في مدن العرب التي يقينا تحتاج الى كل المتاح من الفرح.

الماسة السوداء: من التنمية العمرانية إلى الاستباحة

العمرانية



يجب على المتأمل للماسة السوداء البازغة مؤخراً في قلب صحراء مصر ان يتجاوز بسرعة الاحتفالية المهيبة التي صاحبت افتتاحها وملحقاتها المعمارية والعمرانية من فندق ومحلات تجارية ومطاعم ومقاهي ونافورات راقصة. وبالحديث عن الرقص، فهو مطالب ايضاً بان يتجاوز وجود نخبة فنية من راقصات سابقات يرسلن قبلات هوائية متتالية، وهن يمثلن جانب من الحضور المبتهج والمُنْتَقَى بعناية ليحتفل بباكورة مشروعات العاصمة الجديدة. هذه العاصمة التي قيل لنا اننا نحتاجها بشدة وانها بوابة لدخول مستقبل وافر الرخاء. كما قيل لنا انها عاصمة اكبر من سنغافورة وحدائقها مرتين اكبر من سنترال بارك في نيويورك وستة اضعاف هايد بارك في لندن، ومدينة ملاهيها اربعة اضعاف يونيفرسال ستوديز الامريكية، وبها عشرات الابراج منها اعلى برج في افريقيا، وبها نهر أخضر. لماذا هذه العملاقة والضخامة والارتفاعات

والملاهي الاسطورية؟ هنا تبدأ السردية الحزينة لأنك تتسأل وتعتقد ان هذا حق لك.

يجب أن يتجاوز المتأمل للماسة السوداء أيضا فخ التساؤلات من نوعية هل يعقل أن تكون هذه هي اولويات حكومة تتسول وتقترض وتتحني أمام صندوق النقد الدولي من أجل مليار دولار كل ستة أشهر. أو هل يعقل ان هذه اولويات حكومة شعبها هو الضحية الاولى لإفلاسها وعجزها المالي والاداري، وهو يسحق يومياً تحت وطأة أسعار ملتهبة وتضخم غير مسبوق وضرائب أجهضت البقية الباقية من الطبقة المتوسطة في المجتمع المصري. من المهم ايضا الا ينحرف بك تفكيرك وتندفع الى سؤال مثل وهل يعقل ان بناء الماسة السوداء هو مفهوم التنمية في بلد يبلغ عدد التلاميذ المعبأين في حجرة تسمى مجازاً فصلاً دراسياً، يتجاوز المائة وعشرين طفلاً تبعاً لتصرّيات وزير التعليم.

وأحذر ايضا من الاستسلام لسيل من علامات الاستفهام تتراءى امامك من نوعية ومن هو المالك أو المستثمر وكيف ستفق الأموال بهذه الكيفية واين دراسات الجدوى الجادة، وما هي العوائد الحقيقية على التنمية ومن سمح بالمشروع ووافق عليه وناقشه ومن ومن ومن؟ ولماذا تم الاختيار للماسة السوداء وملحقاتها لتكون باكورة مشروعات العاصمة الجديدة ولم يقع الاختيار على جامعة حقيقية او مركز بحثي فاعل او قاعدة تكنولوجية تربطنا باقتصاد المعرفة والعلم والابداع؟

علي عبد الرؤوف

ان كل ما نسمعه حتى الان يركز على النهر الاخضر الذي تتوسطه مدينة الملاهي العملاقة وتتهادي حوله السيدات الرشقات اصحاب الشعر الذهبي ومجموعة من راكبي الدراجات الملونة. ثم مجموعات من الابراج الزجاجية الفجة التي لم تصمم ولكنها استدعيت من ملفات الرسومات الرقمية المتاحة على شبكة الانترنت ومواقع البناء الافتراضي التخيلي. ثم مئات الالوف من الوحدات السكنية الفاخرة والفيلات التي تبنى في عاصمة بها الملايين من الوحدات الشاغرة غير محددة الملامح والاستعمال نتيجة سياسة اسكان شديدة الفشل. المذهل ان ما تم البدء في بنائه من مساكن في العاصمة الجديدة هو اعادة اجترار لإفلاس معماري وعمراني عانت منه القاهرة في الاربع عقود الماضية واستهجن الجميع فكرة تلك التكتلات الخرسانية القبيحة ولكن العاصمة الجديدة تحتضنها مرة اخرى وتكرر كل اخطاء الماضي.

الواقع ان ما اريد ان أؤكد عليه في هذا المقال، وخلافاً للفهم المتداول، ان الماسة السوداء وملحقاتها هي فعل مقصود يهدف ومع سبق الاصرار والترصد الى تكثيف فكرة "الاستباحة" التي اصبحت المظلة الكبرى التي تحتوي تحت محيطها كل ما حدث ويحدث في مصر في الخمس سنوات الاخيرة. لذلك فالخطأ الاكبر ان نعتقد ان الماسة السوداء خطأ اولويات او تسرع حكومي أو فشل استراتيجي او مجد للزعيم، فالواقع انها فعل مدروس ومتعمد في توقيته ومكانه وحتى تصميمه وشكله ومواده والوانه.

نحن في عصر تم فيه اولا وبسرعة متناهية استباحة العقول المصرية، وكانت البداية مع معاقبة كل من يرفض أو ان يعترض على ان مشعوذ مصري سيقدم حلا كبابجياً لداء الايدز وفيروس سي. كما اننا في عصر سيهان فيه أعظم الإهانة، كل من تسول له نفسه ان يعترض على سحق السيولة المصرية النقدية في تقريرة جديدة لقناة السويس لم يكن العالم يحتاجها، وهو يمر بأزمة مالية كما ان الطلب على النفط واسعاره ومعدلات انتقاله تمر بأسوأ فتراتنا منذ اكتشاف النفط.

عندما تم التيقن من استكمال الاستباحة العقلية بالكامل ومعاقبة العقول الناقدة بكل العنف، انتقلنا إلى المرحلة التالية وهي إنتقالة منطقية وأسميها في سياق هذا المقال الاستباحة العمرانية او بالأحرى استباحة الارض. حقا فالماسة السوداء وملحقاتها شديدة الارتباط بدراما التنازل عن جزيرتي تيران وصنافير. في سردية الجزيرتين تم استباحة العقول والأرض معا في ضربة ثنائية عبقرية عندما استيقظ المصريون على عناوين جرائدهم الصباحية مكتوبة باللون الاحمر تعلن لهم ان الجزر ليست مصرية وانه اوان اعادتها لأصحابها!! من لم يدرك انه مستباح عقليا وعمرانيا وطرح سؤال كيف وهي ارضنا التي ناضلنا من اجلها، انتهى الى ارضية زنزانة خرسانية مغلقة في سجن من سجون مصر الخبيثة. وعندما وصلت الرسالة وترسخت ثقافة الخوف، رأينا المشهد الغير مسبوق. لأول مرة في تاريخ البشرية يقوم اصحاب الارض والوطن بالتظاهر صارخين:

علي عبد الرؤوف

هذه ليست ارضنا وليست جزء من وطننا. ارجوكم خذوها وخلصونا من هذا العبء الاخلاقي ولنا في رسول الله اسوة حسنة عندما نادى برد الامانة !! حتى رسول الله استخدموه لاستباحة العقل المصري المعاصر بكل العمق.

في سرديّة الماسة السوداء وملحقاتها، وبصرف النظر عن الاطروحات التلفزيونية الفضائية والخبراء المتحدثين عن المعجزة العمرانية التي تتحدى مشروع القاهرة الخديوي اسماعيل وعلي مبارك، فان النظام يعلم تماما انها ليست اولوية، كما يعلم انها مشروع عديم القيمة. ويدرك ان هذا الفندق لن يدخله سائح اجنبي عاقل واحد يمكن ان يترك كل فنادق مصر ذات المواقع الخلابة شبه الخالية ويختار ان يقضي عطلته في فندق قبيح في قلب الصحراء تحيطه اسواراً عملاقة وتشكيلات من الدبابات. إذن النظام يقدم لنا دليلاً دامغاً على أن العقول تم استباحتها والعمران أيضاً. تعني الاستباحة العمرانية في هذا السياق أن علاقة الإنسان بالمكان والأرض والوطن قد اجهضت تماماً. ستنزاقص النافورات ثم تتعطل وتتوقف وستتحول الماسة السوداء إلى جبل ترابي مُهمَل لن تنفع معه خراطيم المياه لإعادة الرونق لزجاجة الاسود كما فعلت يوم الافتتاح. وسيتحول المشروع الى امتداد لأي من اندية الضباط وعائلاتهم ويسمى الماسة واحد أو اثنين أو ثلاثة.

لن يساهم المشروع في اي تنمية سياحية او عمرانية او اقتصادية او اجتماعية، ولكن هل هذا السؤال أصلاً له قيمة في زمن الاستباحة العقلية والعمرانية؟ أبداً لا

توجد له اي قيمة ولا تتسأل ولا تنتقد ولا تحلل، فننزع وطنيتك من قلبك بالإكراه، ونحولك إلى خائن مغرض كاره للفرح. لقد قرر النظام أنك مستباح عقلياً وعمرانياً، فارضح واستسلم وتأمل حفل افتتاح الماسة السوداء وملحقاتها وصفق بكل حرارة فنحن مازلنا أكبر مؤامرة على انفسنا وعلى النهر الاخضر والماسة السوداء.

معجزة القهوة: المذاق والفضاء



المصادفة هي التي أدت الى اكتشاف اهم مشروبات العالم واكثرها تميزا في مذاقها والثقافة الكاملة التي خلقتها حولها وفي فضاءات احتسائها. القهوة، المشروب الذي خلق ومازال الكثير من عوالم الجدل والصناعة والثقافة والطقوس. هذه المادة البنية السحرية التي يوثق الاقتصاديون انها ثاني اكثر السلع استهلاكاً على وجه الارض بعد البترول. تقول الاسطورة ان الراعي البسيط وهو يتجول في وديان اثيوبيا لاحظ النشاط الملفت الذي يعتري اغنامه عندما تأكل حبوب معينة. فضوله دفعه لاختبارها بعد ان لينها بالماء الساخن واحتساها ففضى الليل يقظاً منتبهاً. ومع انتقال التجار والرعاة والصيادين انطلقت القهوة إلى اليمن، ولكن الانتباه إلى القهوة تم على يد المتصوف أبي بكر العيديروس وذلك أثناء تجواله في اليمن حيث لاحظ وجود شجر البن بكثرة، فتناول بعضاً من هذه الثمار ووصفها بانها جالبة للسهر مما يساعده على التأمل والتعبد لساعات مطولة. ووصل العيديروس إلى مصر في عام 905 هجرية، ومعه ثمار البن والتي أصبحت شراباً للصوفية في مصر، ثم لباقي المجتمع. كما وصلت القهوة

الى مكة المكرمة من خلال رحلات الحج ومنها الى الشام ثم تركيا حيث افتتح اول مقهى لبيع وشرب القهوة في الدولة العثمانية عام 1554. وكانت بداية وصول القهوة الى اوروبا وبالتحديد لمدينتي لندن وفيينا من خلال سفر الاتراك وافتتاح شاب تركي للمقهى الاول في لندن عام 1650.

القهوة كفضاء، هي مسرح الحياة التي يطل منها المجتمع وخاصة ذكوره في سياق العالم العربي على ايقاع الحياة ويتأملون الرائح والغادي ويعملون خيالهم في رسم سرديات متباينة لكل من تقع عليه ابصارهم. هو المكان الذي تتضمن عبقريته امكانية ان ترى وان تُرى، ترى الناس وان يراك الناس. تاريخيا، وفرت فضاءات المقاهي بيئة محفزة للمحادثات الغنية التي أدت إلى بزوغ وتبادل الأفكار الاستفزازية وتقدم كبير في مجالات متنوعة مثل الفنون، والفلسفة، وعلم النفس والسياسة. ان انتاج المعرفة والأفكار بصورة جوهريّة يتم من خلال المحادثات والنقاشات والحوار، وعلى سبيل المثال فان العديد من الأفكار المؤثرة في القرن 19 تم بلورتها في مقاهي فيينا وباريس. بل ان بعض الحركات السياسية الفارقة تأسست في المقاهي وبعض الثورات خرجت منها ايضا. فقد لعبت المقاهي دوراً رئيسياً في تاريخ الأفكار منذ تأسيس المقهى في اليمن السعيد ومن ثم انتقاله إلى مكة، وبغداد، والقاهرة، ثم تطورت في القسطنطينية أيام الدولة العثمانية حيث لقبها العثمانيون "مدارس المعرفة"، ثم دخلت أوروبا منذ القرن السابع عشر. وأصبحت المقاهي في لندن والبندقية وباريس جامعات للمعرفة،

علي عبد الرؤوف

فيها الندوات والحوارات الثقافية الابداعية البرلمانات العفوية اللا رسمية، والدوائر الشعرية، والملتقيات الفنية، كما اصبحت سياقاً للأفكار المثالية والثورية.

تعطي فضاءات المقاهي حيوية للمدينة وبرز الامثلة باريس التي تشتهر بانتشارها المكثف. المقهى تطور تاريخياً ولكنه استقر كفضاء ليس فقط من اجل ادوار اجتماعية وترفيهية، وانما تحول الى فضاء ثقافي ثوري تقدمي نقدي وخاصة مع بلورة نموذج المقاهي الفرنسية كملتقى لاهم مؤسسي الحركات الفنية والادبية. هذه المقاهي التي كانت ثرية بالنقاشات والمناظرات وبلورة التيارات الفكرية، مثل الوجودية والسريالية والدادائية وغيرها. بعد الحرب العالمية الثانية شهدت فضاءات مقاهي حي سان جيرمان ظهور الحركة الوجودية التي نظر لها جان بول سارتر مع رفيقته سيمون دو بوفوار والفا كتبهما عن الوجودية على طاولاتها. وقد اعتبر القرن التاسع عشر العصر الذهبي للمقاهي في فرنسا، وشكلت مصدر وحي لكبار الرسامين والكتاب الذين كانوا يترددون عليها، وخلدت في لوحات بول سيزان وفي نصوص بالزاك وجيرارد ونيرفال. بعض هذه المقاهي شهدت ترددا منتظماً وطقسياً لعمالقة مثل جان بول سارتر وبابلو بيكاسو وسلفادور دالي. بل ان كل حركة السريالية بشقيها الادبي والفني نبعث من جدالات ومشاورات جلسات المقهى التي شارك بها هؤلاء. حيث شكلت المقاهي الواقعة في حي مونبرناس مهداً لولادة الحركة السريالية التي يعد الكاتب اندريه بروتون من رموزها الأساسية. مقهى (لوبروكوب)، الذي يعد أول المقاهي التي افتتحت في باريس في القرن الثامن عشر، شهد ولادة التيارات الإيديولوجية

الجديدة، وتردد عليه رواد التتويريين ومنهم فولتير وجان جاك روسو. كما شهد المقهى نفسه ولادة الثورة الفرنسية حيث استخدم مقراً لاجتماعات مفجري الثورة، وفي طليعتهم روبسبير ودانتون.

بعض فضاءات المقاهي في المدن العربية، وبالأخص القاهرة وبيروت وبغداد ودمشق كان لها لقاءاتها الاسبوعية وندواتها الدورية التي تحتفل بوجود عمالقة الادب والفكر والنحت والتصوير والموسيقى والغناء والنقد والصحافة والفنون. كما كانت فضاءات جامعة لأجيال المبدعين وبالتالي تخلق فرص متجددة للتعلم وتبادل الخبرات عبر الاجيال ولعل التقاف الشباب حول نجيب محفوظ من اكبر دلائل هذه الانتقالات المعرفية عبر الاجيال التي سوقت لها واتاحتها فضاءات المقاهي. تعد القاهرة أكثر المدن العربيّة ازدحاماً بالمقاهي، خاصة المقاهي ذات الطابع التاريخي، وبعضها مرتبط بأحداث تاريخيّة وفنيّة مهمة. ويبرز هنا مقهى الفيشاوي، والذي كان من روتين نجيب محفوظ اليومي بعد انتهاء عمله في وزارة الأوقاف أن يصل إلى المقهى ليلتقي بأصدقائه وتلاميذه من أمثال جمال الغيطاني ويوسف القعيد ورجاء النفاش وغيرهم. كما اشتهر مقهى "ريش" والتسمية نسبة الى المالك الفرنسي هنري ريش واستمر الاسم بعد شراء عائلة خليل المصرية للمكان بعد عام 1948. ومن المفارقات المثيرة اكتشاف المطبعة السرية التي كانت تقوم بطبع منشورات ثورة 1919 مصادفةً بعد زلزال القاهرة، حيث تصدع أحد جدران المقهى كاشفا عن وجود حجرة سرية خلفه تحوي

علي عبد الرؤوف

بداخلها مطبعة يدوية وجوارها بعض المنشورات التي تحت المصريين على مواصلة الكفاح ضد المستعمر، ومناصرة سعد زغلول والوفد في كفاحهم نحو الاستقلال. شهد المقهى ايضا التعاقد مع أم كلثوم في شبابها لإحياء حفل أسبوعي دائم كل خميس، وفي السبعينيات كان المقهى مقرا لانتعقاد ندوة نجيب محفوظ الاسبوعية. كما اشتهرت مقاهي اكثر تواضعا مثل قهوة محمد عبد الله في الجيزة التي ظلت مفعمة بالنشاط حتى منتصف الخمسينيات. وكان من اهم روادها الكاتب الساخر محمود السعدني وزكريا الحجاوي والفنان عبد الرحمن الخميسي والناقد أنور المعداوي. وتميزت بمشروع معرفي ينقل الخبرة للأجيال الجديدة ولذا شهدت نبوغ المواهب من الأدباء والكتاب مثل يوسف إدريس وسمير سرحان و طوغان والشاعر السوداني معين بسيسو وغيرهم. كما ارتبطت المقاهي بمهن معينة مثل مقهى بعره وفينيكس التي جلس فيها مشاهير الفن أمثال نجيب الريحاني وأم كلثوم ويوسف وهبي ومحمد عبد الوهاب وكذلك الممثلين وكومبارسات السينما المصريّة تطلعا لاستدعائهم لإدوار قد تغير مسار حياتهم.

حتى أصحاب المقاهي وجدوا في إعادة تسمية المقهى مدخلا لتفعيل هوية جديدة تتلاءم مع شخصية الفضاء المُستقبل للمبدعين والمتقنين. اشهر الامثلة المقهى الثقافي في بغداد ودمشق وقهوة الندوة الثقافية في قلب مدينة القاهرة، وهو يعتبر مركزاً لمعظم الفنانين المستقلين والأدباء والشعراء الشباب. كما تحولت فضاءات المقاهي إلى نوع من المكاتب أو المقرات الدائمة بالنسبة للكتاب والأدباء والفنانين الذين كانوا يكتبون ويتناولون طعامهم ويستقبلون ضيوفهم فيها، كما انها تقدم لهم

احساس العائلة وخاصة لان الكثير منهم يعيش وحيدا بل وقد يكون منبوذا من سياقات اجتماعية اخرى. وكل رواد المقاهي من الكتاب والفنانين كتبوا عن المقاهي ودورها في ابداعهم ويومياتهم بها وتأثير المتبادل بين الانسان والمكان او بالأحرى المبدع والفضاء اللا رسمي الحر العائلي الذي تقدمه المقاهي.

في الفكر المعاصر، يتبلور دور القهوة (المقهى) كفضاء محرك للطاقة الابداعية في حقبة الاقتصاد المعرفي الابداعي. بل ان علماء المعرفة والفكر الابداعي التحفيزي يعتقدون ان فضاء المقهى من نماذج "محركات الابتكار". كما كان من الطبيعي أن منهجية "مقهى المعرفة" قد وضعت لدعم جلسات تبادل الأفكار المبتكرة او تقنيات العصف الذهني التي تعتمد على الحوار الغير مقيد. المبهز ان مهما تغير مذاق القهوة وانتقل من المذاق التركي الى حذائة الموكا والكابتشينو واللاتيه ومهما تغير فضاء القهوة ولمعت به اضواء الكومبيوترات المحمولة والاجهزة الرقمية اللوحية، سيطل المقهى معجزة مستمرة في مذاق ورائحة تأسر الانسان حتى اذا لم يشربها وفضاء فريدا لتبادل الفكر والمعرفة وانتاج القيم وتحفيز التحرر والتمرد الايجابي ورعاية بذور الثورات في عالما العربي بل وفي العالم بأسره وهذه هي معجزة القهوة المذاق والفضاء.

أخيرا الهندي يفوز بالعمارة ايضا



أعلنت منذ أيام قليلة نتائج جائزة بريترزكر Pritzker Prize للعمارة للعام 2017 وهي ارفع وارقي تقدير يمكن ان يحصل عليه معماري في العالم بأسره. وتمنح الجائزة سنويا لتكريم أحد المعماريين الذين لا زالوا على قيد الحياة. وهي ايضا الجائزة التي تعادل في قيمتها المعنوية والادبية والمهنية جائزة نوبل في مجالات الآداب والعلوم. في هذا السياق نشير الى ان الجائزة بدأت عام 1979 بعد ان اسسها السيد جاي بريترزكر وزوجته، مالكو سلسلة فنادق هيات ريجنسي العالمية الشهيرة، تقديرا منهم للدور الكبير الذي تلعبه العمارة في تصميم المبنى والفضاء والمدينة كلها وتعطي لهم الطابع والمذاق بل والنجاح المهني والتسويقي. وهي الجائزة التي فاز بها نجوم العمارة العالمية مثل فيليب جونسون وفرانك جيري وهانز هولاين وكنزو تانجه وروبيرت فنتوري ونورمان فوستر وريم كولهااس والمبدعة الفقيدة زاهنا حديد التي حصلت على الجائزة عام 2004.

الفائز في دورة هذا العام هو المعماري الهندي بالكريشنا دوشي المولود في مدينة بوني الواقعة غرب الهند عام 1927، وهو الاول في عائلته كلها الذي يتجه لدراسة وامتهان العمارة. وهو الفائز بعد ان حصل على الجائزة عام 2016 المعماري التشيلي أليخاندرو أرافينا، والاخير هو المعماري الذي صمم ونسق بينالي فينسيا للعمارة في نفس العام. درس دوشي العمارة في مومباي ثم سافر الى باريس وعمره 24 سنة، وبالتحديد في عام 1951 ليعمل لدي استوديو المعماري الرائد لوكوربوزييه (1887-1965) احد الاركان الاربعة لعمارة الحداثة مع زملائه ميس فان درروه وفرانك لويد رايت ووالتر جروبيوس الذين وضعوا ملامح حركة الحداثة في العمارة المعاصرة في بدايات القرن العشرين.

اقترب دوشي من الاستاذ المعمار المعلم ونهل من معارفه المعمارية والفنية ثم عاد الى الهند ليكون من ضمن الفريق الذي اشرف على مشروعات لوكوربوزييه التي صممها في الهند ومن اهمها مدينة شانديغرا. وعندما بلغ دوشي عامه التاسع والعشرين قرر تأسيس مكتبه المعماري الخاص مرتكزا على عدة مفاهيم مرتبطة بحتمية التعلم من البيئة المحلية بالإضافة الى التعلم من الحرفيين البسطاء ولكن شديدي الابداع والتميز والخلق والحرص على الابتكار في سياق محلي ولكن بنكهة عالمية تقدر من العالم كله. لم يكن دور دوشي الذي ارتأه لنفسه يقتصر على ممارسة العمارة والعمران وانتاج البيئات المبنية لمجتمعات الهند، ولكنه كان مؤمنا بقيمة التعليم المعماري ونضجت الافكار لديه عندما بلغ عامه الخامس

علي عبد الرؤوف

والثلاثين فأسس وصمم مدرسة اسلام اباد للعمارة التي كان مفهومه التصميمي فيها يركز على ان الجامعة هي مكان للاكتشاف وليس فقط للتلقين والحفظ لمعارف معروفة ومستقرة. وان الحرم الجامعي هو مكان للانتقال من حيز اللا معرفة الى حيز المعرفة وبصورة مستدامة ومستمرة.

فاز المعمار دوشي بجائزة بريتزكر بعد ان احتفل بعيد ميلاده التسعين امضى منها اكثر من ستة عقود يقدم معمارا منحازا للفقراء والمهمشين. وفي بيان الجائزة المفسر لفوز دوشي نقرأ فلسفته بوضوح وهي التي قدر عليها اعظم تقدير " يجسد المعمار حساً عميقاً بالمسؤولية ورغبة في المساهمة بعمارة أصيلة وبجودة عالية تخدم الهند ومجتمعها الانساني". وقد أكثر دوشي من تأمل ودراسة وتحليل انماط العمارة المحلية في الهند وهي عمارة شديدة التلون والتعددية. وهو يقر بانه تعلم منها الكثير وخاصة عمارة المعابد التقليدية التي ابهره فيها سيمفونية البشر والمكان واللون والأرض والسماء. هذا السيمفونية التي تبدو الحانها وتوافقاتها احيانا بسيطة وتبدو في احيانا اخرى شديدة التركيب والتعقيد. كما انه وجدها تجسيدا لتساؤله الملح والدائم: كيف تقيد العمارة المجتمع كله وليس فقط صفوته ونخبته؟ وقد انعكس هذا التأثير على نصائحه التصميمية المستمدة من منطق التعقيد والتركيب الفراغي المنظور في المعابد التقليدية. وتلك النصائح قدمها للمعماري الأميركي لويس كان (1901-1974) الذي عهد اليه تصميم "المعهد الهندي للإدارة" في بنغالور بعد ان كانت شهرة الاخير قد اتسعت فور انهائه مبنى البرلمان في مدينة دكا عاصمة البنجلاديش.

ولكن المشروع الابداعي والفلسفي والاخلاقي للمعمار دوشي يتبلور في مشروعاته السكنية وتخطيط المدن. نموذجا مهما لهذا التبلور هو مشروع "أرنايا للمساكن منخفضة التكلفة" الذي صممه دوشي في بدايات الثمانينات من القرن الماضي. فنقيضا لكل التوقعات فقد خطط وصمم مشروعا يتسع لأكثر من 80 ألف إنسان في مساكن قليلة التكلفة ولكنها متميزة وتحمل ملامح تشكيلية مستلهمة من العمارة المحلية كما تشمل تركيبها العمرانية مجموعات من الافنية الداخلية والعامة وشبه العامة والتي تتواصل من خلال شبكة معقدة من الممرات إنسانية المقياس وحميمية الاحساس نابعة من الصيغة التقليدية للأحياء في المدن الصغيرة والبلدات الهندية. لقد اتاح المعمار دوشي الفرصة لأكثر الطبقات فقراً في الهند لتعيش في بيئة مبنية تحقق الوظيفة وفي الوقت ذاته جميلة وانيقة ومحدودة التكاليف ومرتبطة بالعمارة المحلية. وفي منتصف الثمانينات انتقل دوشي الى مقياس تخطيط وعمراني جديد حين كُلف بعمل التخطيط العمراني لمدينة فيدهيدر ناغار التي تقع بالقرب من مدينة جيبور القديمة، بغرض استيعابها لأكثر من ثلاثمائة ألف نسمة. فخططها وصممها لتجمع مميزات العمارة الهندوسية القديمة بالحدثا كما استوعبها في تأملاته وتحليلاته. وفي كل هذه المشروعات ركز المعماري دوشي على العناصر المستمرة في ثقافة المعمار الهندية، من شبكات حركة انسانية نابضة بالحياة، اسواق نشطة، وساحات القرية الرئيسية، وافنية المنازل بالإضافة الى البنية الهندسية والتركيبات الزخرفية واللونية. كل هذا لأنه

علي عبد الرؤوف

كان واعيا كل الوعي لان على المعماري أن يكون صادقا ومبدعا حقيقيا ومن ثم يعكس نمط الحياة الاجتماعي والتقاليد الثقافية والروحانية للمكان الذي ينتمي إليه ويصمم فيه.

ان المعماريين والمصممين والعمرانيين والمسؤولين عن جمال الامكنة يجب ان يتعلموا الكثير من سرديّة المعماري بالكريشنا دوشي. يجب ان يتولد لديهم الاصرار ان الفقير والمهمش يستحق نصيبا من جمال الامكنة والفضاءات ومن ثم يستحق جهدهم التصميمي واستكشافاتهم الابداعية واجتهاداتهم الفراغية. لا يجب ان نرضى ابدأ عن عقاب الفقير والمهمش وان نتراجع عن التعامل معه كإنسان يستحق الجمال. انما نتعامل معه فقط من مدخل الاستجابة للاحتياجات المباشرة من منظور وظيفي بارد. تأمل ما يبني للفقراء والمهمشين فتجد اننا نفرض عليهم مخزنا بشريا ونطلق عليها مساكن محدودي الدخل. ومن يتاح له التعليم من هذه الفئات الفقيرة المهمشة نضعهم في صناديق خرسانية ونسميها المدرسة. وعندما يمرض يذهب الى صندوق اكثر قبحا مكتوبا عليه لافتة "المستشفى العام". ان العبقرية الحقيقية للمعمار الهندي بالكريشنا دوشي كما كانت عبقرية المعمار المصري حسن فتحي، هي ايمانهم العميق باستحقاق الفقير والمهمش لبيئة مكانية معمارية عمرانية جميلة وملهمة تذكره بإنسانيته وانه مكون له استحقاقات ولم ولن ينسى من مكونات النسيج البشري للمجتمع والدولة والامة. كما ان فوز دوشي بعد فوز المعماري التشيلي أليخاندرو أرافينا عام 2016 هو فوز للعمارة لأنه يعني ان التقدير ليس فقط من نصيب معماري

الصفوة ونجوم التشكيل ومصممي المتاحف المليارية الميزانيات، ولكن هناك تحول فارق يجعل الجائزة وللعام الثاني على التوالي تقدر صديق الفقراء ونصير المهمشين ومبدع محدودي الدخل. ان العمارة كمهنة سامية يجب ان تفتح ابوابها وبوابات ابداعها ليس فقط للصفوة الغنية القادرة مالكة المال والنفوذ والرأي والقدرة على البناء، ولكن والاهم يجب على العمارة ان تتحازر للقطاع الاكبر من المجتمع محدود الدخل دائما ومحدود الامل احيانا.

من المسجد إلى المتحف: المشهد العمراني العربي المغاير



افتتح مؤخرا متحف اللوفر، او ما سمي "لوفر الصحراء" في العاصمة الإماراتية أبوظبي من تصميم المعماري الفرنسي الشهير جون نوفيل، مصمم معهد العالم العربي في باريس الذي نال عنه جائزة الاغاخان في العمارة عام 1987 والحاصل على جائزة بريتزكر في العمارة عام 2008. استمر العمل في المتحف لمدة عشرة سنوات وبلغت تكلفة انشاؤه مليار دولار لا تتضمن مبلغ نصف مليون دولار دفعها الجانب الاماراتي حتى يُسمح له باستغلال اسم اللوفر. وفي خلال أسابيع يُفتتح في العاصمة القطرية الدوحة، متحف قطر الوطني من تصميم نفس المعماري ليعرض اطروحات عن ماضي قطر وحاضرها ومستقبلها. إذن نحن امام قرابة شهر من الاحتفاليات الممتدة في السياق العربي بمناسبة احتضان عاصمتين خليجيتين لصرحين متحفيين فريدين محليا واقليميا وعالميا.

نحن ايضا وكما يتراءى بصورة متعاضمة، أمام مشهداً عمرانياً مغايراً في المدينة الخليجية والشرق اوسطية المعاصرة. هذا المشهد يتقدم فيه المبنى المتحفي تدريجيا ليحل محل مبنى المسجد في المكانة المعمارية والقيمة البصرية ولكن والاكثر إثارة للحيرة في الدور الثقافي والاجتماعي والتثويري والانساني. ولذا يحق لنا ان نتسأل هل المشروع الثقافي التثويري الحضاري الذي يمثل المتحف، يحل بتسارع محل المشروع الديني الروحاني المجتمعي الذي يمثل المسجد في سياق الخليج والشرق الأوسط الجديد؟ هل أصبح المتحف أكثر ملائمة لنداءات التطور والحدثة بل والليبرالية والعلمانية التي تصدح بقوة في فضاءات الأنظمة العربية؟ هل سيحاصر دور المسجد في شعائر يومية وبالتالي لا يوجد مبرر للتعامل معه كأحد أهم مكونات المدينة العربية المعاصرة كما سبق له ان كان أحد الأعمدة الفقرية لمدن المجتمعات الاسلامية التقليدية؟

لمراجعة منصفة، فإننا نوثق في ما بعد حقبة طفرة النفط الاولى في دول الخليج وعلى امتداد السياق الشرق أوسطي، فإن المسجد كان المشروع المعماري الاكبر والابرز دائما في المدينة العربية بل كانت المساجد بمثابة صروح اسلامية بارزة متميزة في سياق المدينة ونسيجها. كما تبارى زعماء الأمة العربية في إتباع تقليد بناء المساجد العملاقة في مواقع فريدة لأنها أولا تؤكد فكرة الهوية الاسلامية التي استخدمت بصورة مكثفة. ومن جهة اخرى، هي تخليد لزعيم وخاصة إذا ارتبطت باسمه وعصره وسنوات حكمه. رصدت المساجد العملاقة تبنى في العواصم

علي عبد الرؤوف

العربية من تونس والدار البيضاء إلى دمشق وبغداد ووصولاً إلى جامع الصالح العملاق في صنعاء. وفي العقد الأخير وباستثناء واحد هو مسجد الشيخ زايد في مدينة ابوظبي الذي افتتح في ديسمبر عام 2007، فإن فكرة بناء المساجد الصرحية تضاعلت بشدة إن لم تكن قد خرجت تماماً من أولويات تميز عمران المدينة الشرق أوسطية والخليجية وعمارتها وحل محلها صروح معمارية جديدة تساهم في تسويق المدينة عالمياً والمساعدة في احتلالها ولو مساحة ضيقة على مسرح المدن العالمية أو المتعولمة.

يعود جانب من تفسير هذا المشهد إلى التضاؤل التدريجي والمتعمد أحياناً لدور المسجد الاجتماعي والثقافي والتعليمي والمعرفي والسياسي وتحوله إلى مكان لممارسة الطقوس ثم غلقه وانفصاله الكامل عن المنظومة الاجتماعية والإنسانية للمدينة. فقد تضاعفت هذه الرؤية بعد تداعيات الربيع العربي، وتوجه أنظمة عربية متعددة إلى تسويق فكرة أن المنتسبين للإسلام والمجتمعين في المساجد يمثلون خطورة حقيقية أمام متطلبات الاستقرار التي ينادي بها زعماء أربكهم مشهد ثورات الربيع العربي، وتكاتفوا بكل تناسق غير مسبوق، لإجهاضها وتشويه صورتها بأسرع ما يمكن.

من جهة أخرى فقد حدثت ثورة حقيقية في مفهوم دور المتحف في المجتمع والمدينة في السياق الغربي. لقد تفهم القائمين على مباني المتاحف في المدينة الغربية المعاصرة أن انتشار فكرة المتاحف الافتراضية الرقمية بسبب الثورة

المعلوماتية، يتطلب إعادة صياغة لدور المتحف في المدينة ليستمر جاذباً لسكانها وزوارها. لذلك عملوا على أن يكون المتحف جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع ويجسد قيمه ويحفزه ويهيئ أجياله لمستقبل مبهر ومبدع لان المتاحف هي بالمقام الأول عن الناس وينشئها الناس. ولذلك تجنبت المتاحف المعاصرة في المدن الغربية أي أفكار لإقصاء قطاعات من المجتمع أو ان تتحول إلى مباني للصفوة والشريحة الثرية النافذة. إذن لم تُعد المتاحف في عالم القرن الواحد والعشرين أماكن لعرض مقتنيات تاريخية أو إبداعات فنية فقط، ولكنها أصبحت فضاءات عامة ديمقراطية تحفز الحوار والتعلم والتساؤل والاندماج. فهل تلعب المتاحف الجديدة في المدينة الخليجية والشرق اوسطية ادوارا مشابهة؟ أم تتحول الى فراغات منعزلة مبهرة ولكنها منفصلة عن المجتمع المحلي فلا تحقق اهدافا تنويرية او تثقيفية أو والمهم اجتماعية وديمقراطية.

إذن الاشكالية الحقيقية ليست في التفضيل بين المسجد والمتحف، ولكنها في كيفية الاطمئنان الى الوعي الكامل باستمرارية احتياج المجتمعات العربية لهذين النوعين الجوهريين من المباني. ولكن شريطة ان يمتد هذا الوعي ليشمل استيعاب الادوار الجديدة التي يجب ان تؤدي من خلالهما. فأما المسجد فيجب ان يتجاوز فكرة انه فضاء محدوداً، حتى مع تضخم مساحته، تمارس فيه الطقوس والشعائر فقط. بل يجب ان يتحول المسجد المعاصر إلى ملتقى مجتمعي تنويري حوارى اجتهادي استكشافي بامتياز. مكان لإنتاج المعرفة وتقديم اطروحات

علي عبد الرؤوف

تعليمية ونقدية معاصرة. كما ان المتحف لا يجب ان يبنى فقط من اجل منافسة عالمية محمومة لكي نحظى بلقب المدينة العالمية، ولكنه يجب ان يكون محركاً ابداعياً نقدياً دافعاً لحيوية التساؤل بين قطاعات المجتمع ومسئولا عن ثورات متتالية في مفاهيم المعرفة والفن والجمال والديمقراطية والابداع.

نعم المدينة الخليجية والشرق أوسطية المعاصرة تحتاج يقيناً إلى المسجد وتحتاج أيضاً إلى المتحف، ولكنها تحتاجهما من اجل مجتمعاتها المحلية وتعظيم ثقافة الابداع والمعرفة والحوار والتسامح وقبول الاخر وليس من اجل نيل رضا العالم عنا. إن العالم وخاصة على مستوى الاصعدة الحضارية والثقافية والمعرفية بل والروحانية، يحترم الدول التي تضع مجتمعاتها المحلية اولوية في المشروع الحضاري والتثقيفي والتنويري. وفقط من خلال هذا التقضيل، تحظى الدول بمكانة عالمية وتتبوأ المواقع الافضل على المسرح العالمي وعلى منصات الانسانية واعلاء القيم والمبادئ.

انتقالات صيفية على السواحل الشمالية: نحو هاسيندا بنغازي



اعتقادي الكامل ان البرت اينشتين عالم الفيزياء الفذ كان يتحدث عن الأفراد عندما عرف الغباء بانه تكرار ما فعلته سابقا بالضبط وتوقع نتائج مغايرة. هذا الاعتقاد سببه ان الفرد يملك عقلا واحدا وقدرات محدودة ولكن على مستوى الامم فإنها تملك رصيد من العقول التي تجعل تكرار الخطأ جريمة كبرى. من هذا المنطلق اندهش جدا وانا اتابع مسلسل الانتقالات الصيفية المستمرة لأكثر من ستة عقود على السواحل الشمالية المصرية.

في الزمن البعيد كان اصطياف المصريين في سواحل الاسكندرية وبلطيم وجمصة ورأس البر وكلها كانت مصايف عائلية بسيطة منطبق الحياة بها اقرب إلى حالة المعسكرات الترفيهية بل ان بعض المصايف لم يكن بها الا عشش

علي عبد الرؤوف

متواضعة من البوص ومواد البناء التقليدية ولكنها كانت محملة بدفع العائلات ومرح الصيف. كانت المتع الصيفية محدودة ولا تتجاوز يوم من السباحة في مياه نقية قد يصاحبها محاولة للوصول الى البراميل!! ثم عشاء من السمك المشوي بالردة ثم الذرة المشوية على الكورنيش أو الفطير المحلى بالسكر في تمشيات المساء قبل الذهاب للسينما الصيفية المفتوحة. باستثناءات محدودة جدا اهمها حالة المنتزة بطابعه الملكي فقد كانت فكرة البساطة والاتاحة هي السائدة في مفهوم العائلة المصرية للاصطياف.

حدث التطور الاول مع إنشاء حي المعمورة وكبائنه التي أحدثت الثورة النوعية الأولى في عالم الأصطياف في مصر. فقد بدأت فكرة الامتلاك وشراء العقار لاستخدامه في عطلات الصيف. انتبه اهل البدو في المنطقة إلى التوجه الجديد والتغير النوعي في مفهوم المصريين للاصطياف فبدأت تجارة لا رسمية للأراضي في مناطق العجمي. واندفع عليه القوم للشراء وبناء بيوت بدأت بسيطة ثم تطورت تدريجيا وخاصة ما بعد حقبة الانفتاح الاقتصادي حتى تحول بعضها الى قصور مسورة كقلاع غامضة في شوارع ترابية ضيقة. وللمرة الاولى تبدأ فكرة التملك الوحشي وحرمان الآخر وصرف مبالغ طائلة للتباهي والتمعن في إظهار الثراء في بيت مصيفي يستعمل لعدة اسابيع كل عام. هذه الحالة انتجت المنطقة العشوائية الاولى في مصر كلها بامتياز، العجمي مصيف الطبقة الراقية. هذه المنطقة التي سبقت كل المناطق التي سكنها الفقراء في كل محافظات مصر

بعد عجز كامل للحكومة في ان توفر للملايين سكن لائق وسميت المناطق العشوائية في الخطاب الرسمي والادبيات المنشورة.

وفي تطور غير مسبوق اقليميا أو عالميا تولت الحكومة فكرة الاستمرارية في التنمية المشوهة للساحل الشمالي عندما أعلن وزير الاسكان حسب الله الكفراوي خطته لإنشاء جهاز القرى السياحية التابع لهيئة المجتمعات العمرانية الجديدة. وكانت البداية مع بناء ثلاثية من قرى المصايف العملاقة والتي صرح الوزير بانها ستكون بداية لوضع الساحل الشمالي على خريطة السياحة العالمية وخلق مجتمعات عمرانية متكاملة تخفف عن المدن الكبرى. ولإضافة هذه اللمسة العالمية سميت القرى الجديدة بأسماء مناطق تصلها تدفقات سياحية عالمية في اسبانيا وهي مراقيا وماربيلا ومايوركا ومارينا.

تزامنا مع فكرة تبني الحكومة لفكرة تقسيم اراضي الساحل الشمالي وتحويلها الى فيلات صيفية، اندفعت الشركات العقارية والتنظيمات المهنية للسيطرة على الاراضي وبناء المزيد من الفيلات والشاليهات. نسي المصطافون بساطة المصيف وتحول شهري يوليو واغسطس الى ما يشبه مباريات المصارعين حتى الموت في الكولوزيوم الروماني لإظهار من هو الاكثر ثراء وترفا. كما بدأت ظاهرة الانفلات الاخلاقي والقيمي والسقوط الاجتماعي الكامل بحجة "ده صيف والناس عايزه تتبسط". فجأة تحول الساحل الشمالي البديع من كنز طبيعي خلاب

علي عبد الرؤوف

قادر على اجتذاب المليارات الى شريحة تتناثر عليها الاف الفيلات والشاليهات والعمارات السكنية المشوهة في اغلبها تصميميا وتشكيلا واسلوب حياة.

نسق اخر شديد الاهمية تبلور في الساحل الشمالي وهو الانتقالات الدورية المكانية. حقا فان الفئة القادرة الراغبة في اظهار مظاهر الثراء وتكثيف المرجعية الغربية التحررية واستدعاء نماذج مدن ساحلية عالمية مثل كان ونيس وموناكو، هي فئة محدودة ومن ثم فإنها تعاملت مع الساحل من منطلق فكرة الموضة الموسمية. نفس الفئة التي شوهدت منطقة العجمي هي التي انتقلت الى مراقيا ومرابيلا ثم صدمها تدفق فئات اقل منها ثراء وتحضرا (تنتشر افكار العنصرية والطبقية في ازهي صورها). توجهت المجموعة الى مارينا وحتى في مارينا حدثت انتقالات من المرحلة الأولى الى الثانية الى الخامسة هربا من تحول كل مرحلة الى مصيف "بلدي" تبعا للتعبير والتبرير السائد.

منذ عقدين بدأت مرحلة ما بعد مارينا (أسطورة وزير الاسكان إبراهيم سلمان) وانتقلت نفس الفئة الى سياق جغرافي جديد على الساحل الشمالي بدأ من مناطق أبرزها خليج سيدى عبدالرحمن وخليج رأس الحكمة ومشروعات غزالة وهاسيندا ومراسي وتلال. المذهل ان الراي السائد لهؤلاء المتنقلين عندما تحدثهم عن المراحل السابقة، فيؤكدون ان الاسكندرية اصبحت مدينة قبيحة مزدحمة والعجمي عشوائية بدون مجاري ومراقيا ومرابيلا ومعظم مارينا متدنية المستوى ولا تليق بنا كصفوة المجتمع ويضيف بعضهم منتشيا الموضة الان ما بعد

العلمين. إذن لن اندهش في خلال عشر سنوات أو أقل ان تتحول الموضة الجديدة الى منتجات السلوم وأظن انه في خلال عشرين عاما سيتحدث هؤلاء الصفوة عن جمال المصيف في مراسي بنغازي وتلال الزاوية وهاسيندا مصراته على الشواطئ الليبية.

أعود الى اينشتين وتعريفه للغباء واقول ألم يصرخ المخططين الوطنيين والاكاديميين المخلصين على مدار الاربع عقود الماضية لوقف اهدار الساحل الشمالي وتحويله الى غابة خرسانية تتدفق بها الحياة فقط لمدة ستة اسابيع بينما تتحول الى شريحة بامتداد مئات الكيلومترات من الكتل الخرسانية المظلمة المسكونة بالأشباح وطيور الظلام باقي العام؟ تخيلوا كم الاستثمارات التي اهدرت على الساحل الشمالي من منطقة العجمي الى التلال والمراسي والخ الخ والتي لا تساهم في تنمية اقتصادية او مجتمعية حقيقية كما انها لم تساهم بل بالعكس اخرجت الساحل الشمالي من منظومة السياحة العالمية (إجمالي تكلفة مارينا 48 مليار دولار أمريكي). تخيل بلد تمتلك ساحل رملي ذهبي على مياه تركوازية وجو معتدل وشمس مشرقة لمدة اكثر من ثمانية اشهر كل عام ولا يدخلها سائح واحد أو تقع على خريطة السياحة الشاطئية العالمية.

هل انتهت القصة، ابدأ فنحن مخلصون جدا لأينشتين ونتفوق على الجميع في تأكيد مصداقية تعريفاته، وما نحن نعلن عن العلمين الجديدة (أسطورة وزير

علي عبد الرؤوف

جديد) لنحول منطقة بديعة على شاطئ مصر الشمالي ومحملة بأبعاد تاريخية فارقة لكل العالم الى غابة من الخرسانة. أتأمل هذا الاصرار وما زلت اكرر سؤالي كيف فشلنا كل الفشل وعلى مدار عقود طويلة في ان نجعل الساحل الشمالي مقصدا سياحيا اقليميا وعالميا لشهور طويلة بدل من حياة محدودة محلية لمدة ستة اسابيع كل عام؟ لا اظن انني مبالغا اذا ما قابلت صديق لك من علية القوم المسؤولين بانانيتهم المفرطة عن تدمير مصر ويقول لك الصيف يجنن في هاسيندا بنغازي وعندما تقول له ماذا حدث لبيت هاسيندا مصر وفيلا مراسي وشاليه التلال، سيرد فوراً: لا يا راجل بعت كله، دي بقت بلدي قوي.

نحن أكبر مؤامرة على انفسنا وعلى واحد من اجمل شواطئ العالم الذي فقدناه ودمرناه ومازلنا مستمرين في تدميره مع سبق الاصرار والترصد.

المتحف أداة للمعرفة: حالة متحف الفن الإسلامي، قطر



بعد مرور عقد على افتتاح متحف الفن الإسلامي في الدوحة، لا بد من طرح تقييمي لقصة تطور هذا المبنى. ولذا سأستخدم المتحف كمنطلق لمناقشة متاحف القرن الواحد والعشرين. وسيتطرق النقاش إلى قدرة العمارة المعاصرة على التمثيل الصادق للهوية الثقافية الإسلامية. وكذلك تحليل كيف ولماذا تكون مشاركة المجتمع في المتاحف عاملاً مهماً في جسر الهوة وتحسين العلاقات بين المؤسستين. كما ويقدم هذا المقال بعض المقترحات حول إعطاء فرصة لمواطني المجتمع للتعرف على تراثهم ومساعدتهم على إدراك أنه من خلال مشاركتهم الفعالة في أنشطة المتحف يبقى تراثهم حياً وفعالاً. ولذا نتساءل حول طبيعة العلاقة بين المتاحف والمجتمعات، وكيف يصبح المتحف جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع ويجسد قيمه وهويته؟ فمعظم المتاحف في العالم شهدت تحولا وأصبحت تعتبر المجتمعات شريكة لها في برامجها وأنشطتها.

مناقشة نظرية: إشكالية المجتمع المسلم المعاصر

تتميز حضارة المجتمعات الإسلامية التقليدية بتأكيدھا على الجمال الموجود في كل جانب من جوانب حياة الإنسان من تلاوة القرآن الكريم حتى صناعة الأوعية والأواني. فالبيئة الإسلامية التقليدية بشقيھا المادي والمعنوي دائما جميلة لأن الإسلام يرى الجمال جزء مكمل للإيمان. وقد شكلت الفترة التي تلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر علامة بارزة في التاريخ المعاصر للمجتمعات الإسلامية، وطغت أسئلة هامة في الأدبيات السياسية والدينية والثقافية، تتعلق بهوية وصورة الإسلام وسوء فهمه وعلى المسلمين كجزء من المجتمع العالمي وبالتالي، أصبح من الواضح جدا أن هناك حاجة ماسة لفهم شامل لكيفية بناء تلك المجتمعات لهويتها الحالية. وقد رأى العديد من الباحثين بان العمارة والعمران كانتا التمثيل المادي لقدرات المجتمعات الإسلامية وإبداعها ومساهماتها الإيجابية في تطور البشرية. أن العمارة المعاصرة والعمران داخل حدود المجتمعات الإسلامية لديهما امكانية تجديد هذا الدور. وسأتناول متحف الفن الإسلامي كحالة دراسة اوضح فيها بأن المتحف يشكل محاولة جادة لتحقيق مثل ذلك الهدف. وكذلك دوره في التواصل مع المجتمع.

متحف الفن الإسلامي يحتفي بالثقافة الإسلامية : أفكار نقدية

في تكويني لأفكاري وملاحظاتني النقدية حول المشروع، أود أن أركز على ثلاثة جوانب رئيسية، أولا المتحف ودوره في نشر الثقافة، وثانيا المتحف كجزء من

الحركة المعمارية الجديدة في الدوحة، وأخيرا سيتم تحليل التصميم المعماري لتتعرف على قدرته على أن يكون تجسيدا وشرحا نقديا للفن الإسلامي وإبداعه وتنوع ثقافته. كما وسأحاول أن أبين إن كان المتحف قد أوجد علاقة إيجابية بينه وبين مجتمعه.

أعادة صياغة العلاقة بين المتحف والمدينة

قد يكون أفضل تعريف للمجتمع على أنه مجموعة من الناس يعيشون في نفس المحيط الجغرافي ولديهم نفس السمات والمصالح العامة والقيم والعادات والمعتقدات. والارتباط بالمتحف هو مستوى المشاركة في أنشطته الخاصة بالأفكار والاتصالات والمعروضات. وقد انبثقت وجهة نظر إدارة المتحف بشأن خلق رابطة بين المتحف وساكني المدينة والزوار من مفاهيم التعليم والمعرفة. ومن أهم ركائز تلك العلاقة هي دعوة طلبة المدارس والجامعات بالإضافة إلى المجتمع المحلي لحضور العروض الدائمة والمحاضرات العامة والندوات والورش والمعارض التي يقيمها المتحف. كما أن هيئة متاحف قطر قررت جعل الدخول للمتحف مجانا بالكامل لجميع المواطنين والوافدين من مختلف الأجناس. وقد ساعد هذا القرار في تقوية العلاقة بين المتحف والمجتمع. بالنسبة للمشاة، يمكن الدخول للمتحف من خلال طريقين مختلفين: إما من البوابة الرئيسية ومن ثم يصعد الزائرون تدريجيا بالممر المؤدي إلى مدخل المتحف الرئيسي. أما طريق الدخول الآخر فيتم من خلال المنتزه العام الملاصق للمتحف المفتوح

علي عبد الرؤوف

باتجاهين نحو مكوني السياق العمراني وهما المدينة والشاطئ. مما ساهم في إثراء تجربة المشاة، وعمق العلاقة بين المبنى والمجتمع والمدينة.

الأثر المعماري والبصري : المتحف كرمز معماري مميز

مستلهما التصميم البديع لمسجد أحمد بن طولون في قلب القاهرة، يعتبر المتحف تجسيدا معاصرا للعمارة النابعة من تطبيق التعقيدات الهندسية الثلاثية الأبعاد وتتكون الكتلة الكلية للمتحف من مبنين يضم المبنى الرئيسي خمس طوابق وجناح تعليمي من طابقين يرتبطان مع بعضهما بساحة داخلية طويلة. وعلى الرغم من حجم المبنى والغرض منه، يبدو التصميم المعماري بسيط وإيجابي بما يتوافق مع قيم العمارة والعمران الإسلامي التي اتسمت بالبساطة والسهولة.

من الناحية البصرية، يقع المتحف في جزيرة اصطناعية مباشرة أمام واجهة المدينة. ونظرا لإحساسه بسياق المشروع، تمكن المعماري اي ام بي من خلق علامة مميزة يمكن رؤيتها من جميع مناطق خليج الدوحة. ووضع المتحف في موقع يساعد على اجتذاب ومشاركة ساكني المدينة في حوار بصري مثير مع مبنى المتحف. أما الأمر الأكثر أهمية فهو قيام المصمم بخلق رابط بصري مع المدينة من داخل المتحف نفسه. حيث يقدم التصميم الداخلي في مستوياته المختلفة، لمحات جميلة باتجاه التطورات الجديدة في المدينة وأفق سماوي مفعم بالحياة. كما ان هناك سلسلة من الفراغات الخارجية والشرفات التي تم تصميمها لتلعب دور اطلالات على المدينة. الماء سمة أساسية من سمات المتحف حيث

أدرك المصمم من خلال رحلاته وتقلاته العديدة وهو يتأمل معالم العمارة الإسلامية، بأن وجود الماء داخل ساحات المساجد أو البيوت هو أمر مقدس. ولذلك وظف المصمم هذه السمة أفضل توظيف بتصميم مجموعة من النوافير وهو ما أسهم بشكل إيجابي في الخبرات الحسية للمتحف.

متحف الفن الإسلامي في الدوحة إظهار للهوية

حقق متحف الفن الإسلامي ببراعة هدف الهوية الجديدة لمدينة الدوحة فقد نجح المصمم في حل جدلية التصميم المعماري والعمراني لمدن الشرق الأوسط ، حيث قام بخلق توازن مهم بين تطلعات الدوحة المعاصرة دون تجاهل قيمة سياقها التراثي الذي اكتسبته من انتمائها للعالم العربي والإسلامي. ومن مميزات منهجية المعماري في تصميم متحف الفن الإسلامي قدرته على تجنب التركيز على تراث الدوحة لأنه كان ينظر إلى المتحف على أنه رمز أو معلم يمثل أمة بكاملها وليس مقتصرًا على مدينة أو دولة منفردة بحد ذاتها. أيضًا، تهدف رؤية قطر إلى جعل الدوحة جسراً ثقافياً بين الشرق الأوسط وبقية دول العالم. هناك نقطة مركزية في مستقبل قطر، وهي إدراك أنه مهما بلغ حجم المصادر الطبيعية في دولة قطر، سيأتي اليوم الذي تتلاشي فيه تلك القيمة وذلك عند إنتاج نماذج طاقة مستدامة ولذا تسعى الدولة نحو تنويع مصادر اقتصادها، ويعتبر إنشاء مجموعة متميزة من المرافق الثقافية عنصراً مهماً من عناصر هذه الإستراتيجية التي تضم خطة لتكثيف مشاريع النهضة الثقافية المعرفية.

ملاحظات ختامية:

أود أن أؤكد على ضرورة قيام العمارة والعمران المعاصر بتجسيد والتعبير عن روح وقيم وإبداع ومبادئ و قدسية الإسلام. وبذلك يجسد المتحف مثالا عميقا حول كيفية قيام المرافق الثقافية وخصوصا في منطقة الشرق الأوسط بإعادة رسم إن لم يكن بإزالة الحدود الماثلة بين الناس والأماكن. ولا يقتصر دور المتحف على المساهمة في استدامة هوية قطر المحلية والإيديولوجية بل يتعدى ذلك إلى المساهمة الفعالة والهامة في تحقيق تطلعات الدولة الاستراتيجية نحو جعل الدوحة مدينة للمعرفة، والرغبة في حيازة موقع على مسرح العالمي وتسويق نفسها كمدينة عالمية جاذبة للسياحة والعمالة والسكان من شتى أنحاء العالم.

هل تنطفئ أضواء أبراج دبي؟



هل تتناقض دبي مع وعودها؟ هل تدير دبي ظهرها لحقيقة تعيين وزيرة للسعادة لتحقيق سعادة المجتمع ووزيرة للتسامح لترسيخ التسامح كقيمة أساسية في المجتمع؟ هل تتراجع دبي عن تسويقها لشخصيتها المكانية كملتقى للتسامح والحرية والديمقراطية والتعددية؟ هل تتداعي صورة دبي اقليميا وعالميا بسبب أزمة الخليج الراهنة؟ لإجابة أكثر دقة على هذا التساؤلات، نبدأ أولاً بسردية دبي في العقد الاخير.

اعتمدت دبي التي اعتبرت أكثر المدن الخليجية والعربية نمواً، على مجموعة من الأدوات لتسويق المدينة لاعبا مؤثرا على المسرح العالمي. فقد تحولت المدينة من قرية صغيرة للصيادين مع ظهير صحراوي قاس إلى فانتازيا عمرانية ديناميكية النمو رأسيا وأفقيا. وتحول المشهد المعاصر للمدينة إلى مجموعة من

علي عبد الرؤوف

المشروعات استثمارية الطابع من المجمعات التجارية العملاقة الى المجمعات السكنية المغلقة ومدن الملاهي وناطحات السحاب التي خصصت كمقار للشركات متعددة الجنسيات التي تدفقت من أنحاء العالم لتحصل على نصيبها في سوق إغرائه لا يقاوم. كما حرصت دبي في مشروعها التسويقي لان تكون مدينة عالمية، أن تداعب خيال الغرب بتواصل تاريخي مع أصولها العربية والإسلامية مذكرة السائح والمستثمر بسحر الشرق وعبق وغموض حضارته وامتداد صحرائه وصهوة خيوله وعيون صقوره. أصبح نموذج دبي لا ينافس، لأنه يقدم باختصار كل شيء مما يجعله مختلفا عن أي مدينة حول العالم. ومن اجل صياغة جديدة لعمران وعمارة المدينة كانت التنمية الايقونية أكثر المداخل قبولا بل أنها أصبحت الاستراتيجية الحاكمة للنمو، ومن ثم حصلت دبي على نصيب الأسد من المشروعات الأكثر جدلا وإثارة مثل الجزر النخيلية وبرج العرب والمجمع التجاري بمنحدر للترحلق على الجليد على حافة الصحراء ثم لاحقا برج دبي أعلى مبنى في العالم وفي أشهر قليلة تحولت دبي الى ماركة عمرانية تسابقت المدن الخليج والعربية في محاولة تقليدها واستهلاكها أملا في وصول سريع ومضمون للحقبة العالمية.

دبي الماركة العمرانية الجديدة للمدن الخليجية والشرق أوسطية

إن هذه الحقبة التي تنوعت صياغات الباحثين في وصفها من "التدبيب" إلى "الدبية" الى "اثر دبي" كلها تحمل نفس المعنى وهو عمق الأثر الذي خلفته تلك الإمارة في الحركة التنموية العمرانية والمعمارية الشرق أوسطية حيث تنافست

المدن في تقليد حاد لدبي في بنائها للأطول والأضخم والأكبر. المدهش ان تساؤلات جوهرية مثل ما هي نتائج هذه المنافسة المحمومة بين مدن الخليج او ما هي طبيعة الحياة الاجتماعية التي يمكن ان تنتج في هذا النموذج التنموي او كيف تقيم هوية المجتمع بافتراض انه مازال يملك هوية بارزة ومؤثرة في إيقاع الحياة، والأكثر أهمية هل هذا النموذج يمثل طرعا متوافقا مع متطلبات الاستدامة والمساهمة في حياة رغبة لا تغفل حق الآخرين في المستقبل. إن نموذج دبي الذي اعتمد على الصورة والشكل والرسالة البصرية التسويقية أكثر من الاعتماد على مفاهيم تنمية متكاملة ومستدامة سبب خلا كبيرا فيما حدث في المدينة الخليجية في السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين وخاصة فيما له علاقة بالتفسيرات الظاهرية السطحية لأطروحات العولمة والتعامل القشري مع القيم المحلية وما يتبعها من قضايا المواطنة والهوية. مما جعل البعض يعتقد ان دبي فقدت روح المدينة الخليجية العربية وتحولت الى معمل مفتوح لاختبار وتطبيق موضات وطرز معمارية غربية لتدعيم هويتها الجديدة كمدينة عالمية ومن ثم خلقت بيئة معمارية وعمرانية مليئة بالأوهام والفانتازيا المنفصلة جذريا عن البيئة المكانية او الثقافية للإمارة. الأكثر أهمية هنا أن التساؤل الجوهري لم يطرح وهو الخاص بما يمكن تعلمه من تجربة دبي في انتاج المدينة السريعة اللحظية التي تسقط العنصر الرئيسي في تكوين المدينة وهو الزمن. أشارت الدلائل أيضا إلى ان قوة نموذج دبي لم يقف فقط على حدود منطقة الخليج أو الشرق الأوسط وإنما تجاوزه إلى حدود جديدة مثل باكستان التي أعلن رئيسها

علي عبد الرؤوف

عاصف زارداري عام 2008 المرشح لفترة جديدة، كيف تمثل دبي مرجعية التطور لمدينة كراتشي حين صرح إنني أريد تطويرها مثل دبي لجلب الرخاء والازدهار الاقتصادي للبلاد. بل انه استخدم هذا التوجه كأداة من أدوات دعايته الانتخابية انبهارا منه بدبي التي عاش بها فترة بينما استقر أولاده وأحفاده في أرقى مجتمعاتها السكنية المغلقة على هضاب الإمارات.

ولكن الواقع ان دبي تلقت درسا هاما في مسارها عند تقاوم الازمة المالية العالمية عام 2008 ولكن الأمارة تحقق لها ما لا يمكن تحقيقه لأي مدينة اخرى في العالم عندما ضح شيوخ ابوظبي الجارة عشرات البلايين لإنقاذ دبي أثناء الأزمة، فكانت المكافأة سريعة بتغيير اسم برج دبي الى برج خليفة تقديرا للإنقاذ الغير مسبوق خليجيا وعربيا. إن استرجاع تداعيات الأزمة العالمية على مدينة دبي وتوقف المئات من المشروعات العقارية التي وصف بعضها بالأسطورية، والتي كان مخططا لها أن تستكمل دراما تربع المدينة على عرش المدن العالمية وكذلك الاندفاع الى هجرة دبي من المقيمين او إنهاء عقود وأعمال الآخرين احدث ارتباكا اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا يجب ان يمثل مجموعة من الدروس نتوقف أمامها باقي مدن الخليج والشرق الأوسط.

من المهم والحتمي ان تتجاوز المدن الشرق أوسطية نموذج دبي وتتوجه إلى مدخل أكثر توافقا مع الاستدامة الشاملة في الحياة والعمران من اجل مستقبل انجح وأكثر استقراراً. ومن ثم فإننا نحتاج ان نتعلم ونعلم الأجيال القادمة ان نبني

أفضل ولكن اقل، وألا ننجرف إلى إفلاس السباق الحتمي والكمي شديد الوضوح في مدن الخليج، ويكفي أن الرياض أعلنت الرغبة في بناء أعلى مبنى بالعالم فور افتتاح برج خليفة في دبي. والأكثر ضرورة أن نتذكر دائما أن الاستدامة والعدالة البيئية متعددة الأجيال والثقافات والهويات. إن التوجه نحو صياغة مدن الخليج والشرق الأوسط كمدن متعولمة يشترط وجود موزاييك بشري مثلون الأديان والأعراق والأجناس من العقول المبدعة والمفكرة والمنتجة للمعرفة، ومن ثم فإن حديث الهوية والانتماء بمعناها العرقي القبلي أصبح طرحا غير ملائما ان لم يكن معوقا لتصورات التنمية المستقبلية في الخليج. تبرز هنا قيم المواطنة والتسامح وقبول الآخر وإدراك أن تلك التركيبة المتباينة في بنية سكان مدن الخليج هي إمكانية تنموية هائلة وليست تهديدا لمفاهيم محدودة وغير صالحة لعلاقة الإنسان بالمكان ومفاهيم الانتماء في عصر عمال المعرفة وبزوغ الطبقة المبدعة.

إن تداعيات الازمة الخليجية الراهنة أظهرت جوانب من شخصية دبي لم يكن أحد يريد رؤيتها حتى لا يفسد شاعرية هذا النموذج اليوتوبي. لم نكن نريد أن نرى دبي توافق على معاقبة ابنائها بالحبس والغرامة إذا تعاطفوا مع الأقارب والجيران. لم نكن نريد رؤية مدينة السعادة تمنع البعض من دخول الإمارة. لم نكن نريد المدينة المتسامحة المنفتحة تتحول الى فضاء يعاقب وجهة النظر المختلفة ويعنف الباحث والمفكر والناقد اذا سبح عكس التيار. اعود واتسأل هل ستكون أزمة الخليج الراهنة كاشفة وفارقة وسببا في انطفاء ابراج المدينة صاحبة

علي عبد الرؤوف

وزيرة السعادة ووزيرة التسامح وسيارات الشرطة اللامبورجيني وانتهاء
اسطورة واحة الانفتاح والتسامح والديمقراطية، والتيقن من اننا مازلنا في الشرق
الايوسط نبني المظاهر فقط ولكننا لا نرغب ابدا في تفعيل مضامين الحرية
والعدالة والتسامح والديمقراطية وها هي دبي نموذجاً لأضواء الامل تخفت
تدرجيا.



الجزء الثاني

مدونات انسانية

إشكالية عودة جيش مُحمد



من أكثر هتافات المتظاهرين في العالم العربي ترديداً هتاف "ويلا ويلا يا يهود، جيش مُحمد سوف يعود" أو "خبير خبير يا يهود : جيش مُحمد سوف يعود". هذا الهتاف الذي استمعت اليه كثيراً في سنوات دراستي الثانوية والجامعية في مدينة القاهرة، ثم في مناسبات عدة لاحقة تنديداً بالاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة، أو تدمير مفاعل العراق أو استباحة مرتفعات الجولان أو اجتياح لبنان. كان ومازال هذا الهتاف يحفزني دائماً للتساؤل عن جدواه وتكرار النداء به على الرغم من استحالة تحقيق محتواه. لم ولا أفهم ما معنى أن جيش مُحمد سوف يعود؟ هل هذا الجيش هو كيان أسطوري فضائي خارق سيُستدعى بأوامر إلهية لنصرتنا نحن المسلمين المتقردين المتميزين الفارقين في المشروع الانساني العالمي؟ لماذا أمتلاك اعتقاد شبه يقيني أن عودة جيش مُحمد عليه الصلاة والسلام هي عودة اسطورية تدخل فقط في بند المصالحات الجماعية والمهادنات الشعبوية والمهدئات العربية والملطفات الاسلامية؟

أقدم لدعم وجهة نظري سردية ذاتية تتأمل حال الأمة العربية الإسلامية وتبدأ من المشهد الأحدث حين أعلن الرئيس الأمريكي ونائبه لاحقاً أن القدس هي العاصمة الأبدية للكيان الصهيوني وأنهما يعتذرا عن التأخر الغير مبرر للقرار. حقاً، ففي إطار أزمة القدس الأخيرة، وهي الأمر الذي مازال متفاعلاً وحيّاً في ذاكرتنا القريبة، فقد تبين للمراقب الصادق المخلص، وبصورة جلية أن حتى غياب القدس ولأبد، لن يعيد جيش محمد. بل أننا ونحن الشعوب العربية المسلمة فقد تصلبنا وتيبسنا ما عدا قلة قليلة تبعثرت اصواتها في الفضاء العريض. أما كل الزعماء الذين طالما تشدقوا بأن القدس هي أعظم الخطوط الحمراء، فقد تنافسوا في بيان أهمية الهدوء والتروي وترك المبالغة جانباً والتزام العقلانية والواقعية في التعامل مع هذا الملف الذي يتطلب الحكمة تبعاً للتعبيرات المستخدمة في الخطاب العام. بل أن بعضهم اقترح مشروعاً بديلاً رأى في مدينة رام الله مستقبل العاصمة الفلسطينية ومن ثم ينتهي الاحتياج إلى القدس. واجتهدت الألة الإعلامية للتسويق الشعبي لهذا المقترح البديل.

دعني أبدأ بوضع إطاراً تنظيمياً ومعرفياً لفهم مصطلح الجيش وخاصة الجيش المُمحدي بقيمته الإنسانية والرمزية والعقائدية الممتدة وليس فقط العسكرية المحدودة. إن الجيش بمعناه العميق وخاصة عندما يرتبط باسم رسول الله فهو في الواقع جيش حضاري تنويري معرفي ثقافي. جيش يتجاوز بمراحل المفهوم الكمي للجيش المرتكز على عدد فرقته وأفراده وكم تسليحه وعتاده. وينطلق إلى

علي عبد الرؤوف

أفاق تستوعب الجيش كمجموعة من الاحرار والعلماء والمفكرين والناقدين والعاملين بإخلاص والمنتجين بكرامة وليس فقط اصحاب الرتب والبنادق والقافزين فوق الدبابات. على سبيل المثال فإن السعودية هي الدولة الرابعة وأحيانا الثالثة على مستوى العالم في معدل الانفاق السنوي على التسليح. نعم ارض الحرمين الشريفين تتفق عشرات المليارات سنويا ومنها الصفقة الاخيرة مع ترامب التي تضمن له فقط، انفاق المملكة ما يتجاوز الاربعين مليار دولار امريكي سنويا على التسليح. نعم السعودية تتفق على التسليح بل وتتفوق بفارق مريح عن معدلات انفاق التسليح السنوية لدول مثل انجلترا وفرنسا واليابان والمانيا وايطاليا واستراليا وحتى كوريا الجنوبية. الاكثر خطورة ان هذا الأنفاق يمثل من 10-12% من اجمالي الدخل القومي بينما لا يزيد في المانيا عن فقط 1% من اجمالي الدخل. بل ان السعودية تتفق خمسة اضعاف ما تنفقه اسرائيل على التسليح سنويا. ولكن هل تجرؤ السعودية على ان تستعيد فكرة جيش مُحمد بشقه الكمي او النوعي؟ الاجابة يقيناً لا، بل ان الأكثر مدعاة للحزن والاسى أن السعودية في تاريخها المعاصر لم تُفعل فكرة وجود الجيش أو القوات المسلحة إلا مرتين الاولى وهي تقتحم البحرين الجارة في اعقاب تداعيات الربيع العربي والثانية وهي تعيد اليمن السعيد إلى حقبة العصر الحجري وزمن الكوليرا.

ما هي إذن الدلائل التي تبدو أبدية على استحالة عودة جيش مُحمد عليه الصلاة والسلام الذي نهتف باسمه ونستدعيه في الاوقات المحدودة التي سمح للعرب

والمسلمين فيها بالتظاهر في الفضاءات العامة؟ أسوق لكم مجموعة من الاجتهادات التي تبلور الموقف الذي اتبناه في هذا السياق.

اولا الغياب الكامل لمشروع الحرية وقيمتها في العالم العربي

كيف نتوقع عودة جيش محمد وكم القيود على الإنسان العربي غير مسبوق؟ نحن نعاني من انعدام الحرية بكل مستوياتها من حرية التفكير الى حرية التعبير الى حرية العقيدة ووصولاً الى حرية الرأي. والبديل الأكثر وضوحاً هو سيطرة ثقافة الخوف التي تزدهر خلالها قيم النفاق والرياء والانصياع المذل والقهر. غياب الحرية معناه اندثار الابداع وضمور حقوق الانسان وسقوط كل القيم.

ثانياً سذاجة المشروع المعرفي العلمي التعليمي

تأمل تصنيف مدارسنا وجامعاتنا العربية ومكانها في السياق العلمي والتعليمي العالمي فتصاب بألم الصدمات. بل ان مصر العريقة التي كانت قلب الامة العربية والاسلامية النابض المفعم بالحياة، خرجت من التصنيف تماماً بعد ان احتلت سابقا المركز 140 على العالم. ما بين مناهج هزيلة تعتمد على الحفظ والتلقين ومستتقع الدروس الخصوصية وانعدام كرامة المعلم، ننتهي بمخرجات مخجلة من العملية التعليمية المدرسية والجامعية. الاخطر، ان العمل البحثي الابداعي الذي يؤسس للطموحات التنموية والصناعية والتكنولوجية شبه منعدم. بل ان معظمه تكراراً وإكتراراً لكل ما كتب سابقاً. أو أن يكون نقلاً أو بالأحرى سرقة

علي عبد الرؤوف

لما نشر عالمياً. في هذا السياق نتوقف امام اليهود وخاصة في دولة اسرائيل التي نتوقع ان يهددها جيش محمد بالويلات ويسحقها للأبد. تنتج اسرائيل انتاجا معرفيا وبحثيا معمليا وتقنيا مذهلا كل عام وخاصة مع اعتبار عدد سكانها وحجم جامعاتها وعدد طلابها وأكاديميها. لقد اصبح لجيش علمائها وباحثيها ثقلا فارقا ليس فقط على المستوى المحلي ولكن على المستوى الدولي. وهو ما جعلها وخاصة جامعاتها ومراكز ابحاثها ملتقى للعلماء من كل العالم ومنطقة جذب للمنح البحثية ومحور اهتمام شركات الصناعة الكبرى التي تسعى الى حلول ابتكارية لتحدياتها وطموحاتها.

ثالثا عقاب الناقد بإقامة الحد

لا يمكن ان يعود جيش محمد ابدأ ونحن نُحرم النقد ونعاقب الناقد ونعتبر التفكير النقدي بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. حتى ايام الرسول عليه السلام كان النقد والحوار وتباين الآراء هي القيم الالهة في علاقات المسلمين الاوائل وحرصهم على التباين الفكري. ولم ينهار المسلمون وتتساقط قدراتهم الا مع بداية الموجات التسلطية الديكتاتورية التي انتجها افراد وزينوها بغلاف ديني من صنعهم وصنع من حولهم من منافقين ومستقيدين. وهو نفس السياق الذي نراه اليوم تقريبا في معظم بقاع العالم العربي المسلم.

رابعا انتماء الاغاني مقابل انتماء الاوطان

يصعب على جيش مُحمد ان يعود بينما مكونه الاكثر أهمية وهو الشباب ممزق بين وطن يسجنه ويعاقبه ويذله ويسحقه وبين حلم ملح للخروج والهجرة. يتألم الشباب العربي وهم يقولون له ان الانتماء للوطن معناه ان تضحي من اجل الزعيم الديكتاتور وعصابته الناهية الفاسدة القاسية. وأن الانتماء للوطن هو ان تردد اوبريت القدس عربية.

حقاً يتحسر الشباب حين يؤمرون بأن يرددوا تحيا الوطن ثلاث مرات كل يوم بينما هو عاجز عن شراء دواء أمه المطلوب ايضاً تعاطيه ثلاث مرات كل يوم. شباب يتم تخديرهم كل يوم بأكذوبة لا تقل ماذا اعطاك الوطن ولكن قل ماذا اعطيت للوطن؟ يُطرح عليه التساؤل بمنتهى القسوة وهو فاقد الامل والعمل والمستقبل بينما يرى حفنة محدودة من المستفيدين مقاولي الاستبداد ومتعهدي النفاق يتمتعون ويسعدون ويبشرون الشباب بكل الخير شريطة الانتظار الابدي. هل هذا سياق يعيد جيش مُحمد؟ هل هذا شباب يخيف اسرائيل ام انه شباب تلتقط جثته الطافية في عرض البحر بعد فشل موسم الهجرة للشمال.

هل اكتمل المشهد امام اعينكم، وبدأتم في استشعار صعوبة بل واستحالة عودة جيش مُحمد طالما بقينا في ضبابية تزييف الواقع وتجميل القبيح واتهام الصادق وسحق المحترم وسجن المعارض وتشويه المُنتبه؟ إن عودة جيش محمد الذي يمكن ان يهدد اليهود ويعيد القدس ويجد موطناً ابدياً للفلسطينيين، تتطلب شعوباً

علي عبد الرؤوف

حررة واعية؁ ومناخ علمي معرفي ناضج ومنافس؁ وديمقراطية مترسخة وعدالة ناجزة ومجتمع متوازن سوي. والاكتر أهمية هو ان العودة تتطلب سقوط كامل لأسطورة الزعيم المؤمن الملهم الواحد المستمر إلى ان يلقي حنقه دون ان يرى عتبات القدس وغالباً قد يصعب عليه رؤية وجه محمد لأنه بكل بساطة لا يستحق فلم ولن يكون ابدا منتمياً لجيش محمد عليه الصلاة والسلام.

عن مفهوم الخيانة العذبة "مثقفو وعلماء السلطة"



من أكثر مشاعر الإحباط التي تنتاب المتشوق للحرية والعدالة والديمقراطية أن يشعر بخيانة مرجعياته الثقافية والفكرية، وسقوطها في امتحان ثبات المبادئ والقيم. هذه الفكرة التأسيسية حفزها تأمل موقف الممثلة ميريل ستريب في رفض توجهات الرئيس الأمريكي الجديد. ألفت ميريل في حفل توزيع جوائز جولدن جلوب خطابا بديعا لم تذكر فيه اسم الرئيس ولكنها شددت على أن الفنان الصادق هو الذي يتمسك، بكل طاقاته ومهما كانت التحديات، بمبادئ الحرية والعدالة والمساواة. ثم أضافت: "عدم الاحترام يجلب عدم الاحترام، والعنف يجلب العنف. وعندما يستخدم القوي مركزه في الإساءة إلى الآخرين نخسر جميعاً". هاجمها الرئيس الأمريكي شخصيا وادعى انها ممثلة مبالغ في تقديرها، فلم تتراجع ونقدت موقفه في كل الفعاليات التالية التي شاهدها العالم. بل يبدو للمراقب أن الطاقة التي ولدها ميريل ستريب امتدت لأكاديمية السينما المانحة لجوائز

علي عبد الرؤوف

الأوسكار التي منحت في دورتها الأخيرة 2017 ولأول مرة في التاريخ، جوائز لفيلم وثائقي سوري، ولممثل أمريكي مسلم، ولفيلم روائي إيراني. حيث قدمت الأكاديمية نموذجاً نافذاً لبيان موقف ضد أعداء الهجرة والمسلمين والأقليات.

هذا المستوى من وعي ونضال المبدعين ذكرني بأديب رفض التنازل من أجل نضاله والحفاظ على مبادئه. حيث استدعيت واقعة حدثت عام 2009، وهي قصة الأديب خوان غويتيسولو الذي رفض جائزة القذافي العالمية للأدب، لما اسماه الأسباب الأخلاقية. أوضح الروائي أسباب رفضه الجائزة، في رسالة وجهها إلى لجنة التحكيم قائلاً "استولى القذافي على الحكم بانقلاب عسكري سنة 1969. لن أقبل جائزة يمنحها القذافي، فإنّ الأمر مستحيل تماماً. أنا أعدّ بين قلة من الروائيين الأوروبيين المهتمين بالثقافة العربية. وقد دافعت قدر استطاعتي عن القضية الفلسطينية، وكنت حاضراً من أجل استعادة شعوب المنطقة للحرية التي حرمت منها على نحو تعسّفي، في إطار احترامي الخاص للشعوب العربية وثقافتها الرائعة، انتقدتُ دائماً، الأنظمة التي تستبدّ بشعوبها، وتبقيها في الفقر والجهل". قارن هذا الموقف مع موقف الكاتب المصري جابر عصفور الذي اختار أن يكون الفائز البديل بعد رفض غويتيسولو. دافع عصفور عن حقه في الحصول على جائزة القذافي وقال أنا لم أرشح لجائزة لحقوق الإنسان، إن الجائزة أدبية، وأن من اعتذر عن الحصول عليها فهذا حقه ولكن لا يعني هذا أن يسير على دربه الآخرون. الملفت أن عصفور بعد تنحي مبارك وفي خضم انتشاء الكثيرين بالربيع العربي ومحاولة الانتماء إلى معسكر الثورة والمبادئ،

قرر التنازل عن الجائزة بسبب ما وصفه "المجازر التي ارتكبتها" النظام الليبي. وأضاف "أرى أنه لا يشرفني أن تكون جائزة القذافي بين الجوائز التي حصلت عليها طوال مسيرتي، كونها تحمل اسم هذا السفاح".

أذا أثار إعجابك موقف غويتيسولو واستنكرت موقف عصفور، فيجب أن يمتد حزنك ليشمل العالم أحمد زويل ليس فقط بسبب رحيله إلى عالم أفضل، ولكن لأنه لم ينهي حياته بمثل هذا الموقف. كيف سمح الفائز بجائزة نوبل بان تكون صورته الأخيرة في مصر وهو متصدرا المؤتمر كل حضوره من العسكر، وهو مدرك جريمة ما حدث في فض اعتصامات ميادين مصر ومدرك فضيحة مصر العلمية التي تبلورت حين أعلن لواء مشبوه اكتشافه علاج مرض الايدز أمام الرئيس المنتظر حينها والرئيس المؤقت الصامت. تتأمل المشهد وتتسأل كيف يتراجع زويل أمام بروباغندا عسكرية ديكتاتورية بل يجملها ويصيغ ويسوق مفردات قبولها في السياق المصري. كيف تسنى له قبول هذا الدور الرديء وهو العالم المدقق الفاحص المتيقن من أن نجاحه لم يكن ليتحقق لولا مناخا من الحرية والديمقراطية واحترام الإنسانية تمتع به ولعقود في جامعات ومختبرات الولايات المتحدة الأمريكية. كيف يجلس زويل محاطا بالعسكر وهو مدرك أن بعض زملائه وتلاميذه يفترون الأرض الباردة القاسية في زنازين وحشية.

علي عبد الرؤوف

حتما يجب استدعاء مواقف هؤلاء المثقفين المناضلين من أمثال ستريب وغويتسولو مقارنة بمن تم تجنيده من النخبة المثقفة في مصر لإسقاط قيمة ثورة 25 يناير من الوعي الجمعي للشعب والتشويه الكامل لصورتها البيوتوبية. ثم تطور هذا التخريب إلى سحق المد الثوري وإطلاق لفظ نكسة على ثورة 25 يناير. نفس المثقفين الذين استهلوا كلماتهم قائلين "عندما كنا في التحرير" والذين طرحوا أفكارا لتخليد التحرير بل كتبوا قصائد تمجده، الآن يقولون: لا تقل ثورة بل قل نكسة أو وكسة يناير". وقد تطور جهدهم من اتهام من بالتحرير بأنهم مأجورين أو مضللين إلى اتهام الثورة كلها بأنها الحدث الأسوأ في تاريخ مصر. وتصل ذروة الدراما عندما يجلس هؤلاء جميعا بعد انقلاب 3 يوليو يتبارون في خيانة فنهم وإبداعهم وإنتاج مرجعيات لفظية مبهرة تصف قائد الانقلاب بأنه المنقذ أو جمال عبد الناصر الثاني أو مُرسل من الله ثم الذكر الضرورة.

إن تأمل المواقف على مدار السبع سنوات الماضية، يبلور تغيرات بنوعية صادمة ومن نخب فكرية لم تدخر إي جهد في توثيق علاقتها بالثورة والميدان ثم خيانتها. الكاتب سيد ياسين، أصر في مقالات نشرها أثناء حكم المجلس العسكري، على عدم جدوى الاستمرار في التظاهر في ميدان التحرير بدعوى أن المجلس العسكري تولى زمام القيادة ويجدر بالشباب الثوري أن يعود إلى بيوتهم وجامعاتهم لأن الثورة أصبحت في أيد أمينة. وقد شاركه في نفس الرؤية الكاتب سعد الدين إبراهيم في حيث دعا للإخلاء الفوري للميدان. ثم عاد ياسين إلى يتناول فيه حالة ميدان التحرير المعاصرة واصفا إياها بالعشوائية. وبالمثل حذر

الشاعر فاروق جويده من انه أدرك متأخرا أن من بالتحريير ليسوا من الثوار ولكنهم أطفال شوارع وبلطجية يروعون المنطقة بالمولوتوف. وتحدث بهاء طاهر في كتابه ايام الامل والحيرة، عن علاقة المثقف بالحاكم وأوضح ان المثقف نشط في وجود حاكم يعي دور المثقف، وايضا الحاكم المنتور لا يظهر بدون وجود مثقف مدرك وأستشهد بحالة محمد علي مع رفاعة الطهطاوي. لكن المذهل ايضا ان الكتاب يقدم شهادة ذاتية توضح موقف كاتب في قيمة طاهر وجد في المجلس العسكري الحل الافضل لمصر ودافع عنه ثم ادرك متأخرا خطأ لا يعقل ان يقع به المثقف الحر.

يمثل الشاعر عبد الرحمن الابنودي الذي سجن شاباً لمطالبته بالحرية، حالة تستحق التأمل. لقد اتسق الابنودي مع تاريخه النضالي حين هنا الشعب المصري في بداية نجاح الثورة قائلا: "أول كلامي أهني الشعب أبو الثوار، اللي خلق ثورته، تحت الرصاص والنار". ثم لاحقا قال الانقلاب ثورة وان زعيمه "زعيم طاهر لا يختلف معه إلا الباطل". ضم الى الابنودي المتمرد أحمد فؤاد نجم والذي انتهى دوره كشاعر ثوري مع مقولته الأخيرة حين وصف المنقلب (بالدكر). ثم تطورت افكار نجم واطلق على المنقلب لقب عبد الناصر الجديد الذي حمى الشعب واخذه بالحضن تبعا لتعبيره؟ يمثل الروائي جمال الغيطاني حالة دالة أيضا، فقد كان من كبار الداعمين لنظام ما بعد الانقلاب ووصف مدبره بأنه وطني طاهر. واعلن تأييده للمطالبين بقتل آلاف المصريين. كما أوصى في

علي عبد الرؤوف

آخر تصريحاته بسرعة إعدام قيادات الإخوان والرئيس مرسى، بدعوى أن عدم قتلهم هو سر استمرار العنف والإرهاب.

نتأمل ماذا فعل ويفعل مثقفون وشعراء من حجم هؤلاء ونسأل: هل يحتاج المثقف المصري العربي الى جرة اخلاقية ام انه اعلن وفخور بموت ضميره وخيانته فنه وابداعه ومبادئه وقيمه. كيف يرفض مثقف حر اللحظة التاريخية التي استعاد فيها الشعب وجوده. كيف يقبل المثقف ان يتحول من مناصراً للشعوب إلى المساند والمبرر لقتل الآلاف وتحويل ديكتاتور إلى بطل ورقي أسطوري. الموهبة التي يملكها بعض المثقفين والنخبة العربية تتبلور في جهدهم لترسيخ مبادئ الذاكرة السمكية لدى الشعوب لأنها تراهن على النسيان السريع جداً لان العرب بينما هم مستغرقون في مجلدات التاريخ، لا يتعلمون منه غالباً. مجموعة خانت فنها وشعبها وهي راحلة أو تقترب من الرحيل إلى القبور.

لماذا لا يتسق بعض المبدعين العرب مع مبادئ فنه ومسئوليات إبداعهم؟ لماذا يخافون وهم في نهايات أعمارهم؟ لماذا يتناقضون كل التناقض مع كل من حاربوا من اجله بل وسجنوا من اجله وتحولوا إلى نصرة ديكتاتور وتقرغوا لإنتاج صورة ذهنية بطولية أسطورية له لتغيب الشعب المصري وإجهاض طاقته الراضة المتمردة الثائرة؟ لماذا يسقطون في امتحان التقديمية والتتوير؟ لماذا لا يمتلكون شجاعة النضال ونزاهة نقد مواقفهم الذاتية؟ لماذا يخونون أجيالاً أمّنت بهم ورددت أفكارهم ومقولاتهم؟ يقولون لنا فقط اذكروا محاسن موتاكم.

رحم الله الجميع ولكن إعمال العقل واستفزاز الذاكرة والالتزام بالمبادئ فارق في حياة الأمم. الجنة الحقيقية لمن رفض أن يخون فنه ومبادئه وقضيته ومجتمعه.



عن التلوث اللفظي (ملاح حقة قشقة وطحن)



في احد شوارع وسط مدينة القاهرة في بداية الستينات، يقترب الشاب الذي يرتدي البدة الكاملة مما يعني انه موظف حكومي محترم من سيدة لا يعرفها ويقول لها "نهارك سعيد يا هانم". يتوقف الكاتب والروائي المصري ثروت أباظة أمام المشهد مستكرا ما اسماء الانهيار الاخلاقي الذي يعاني منه المجتمع المصري. هذا الانهيار الذي تبدت ملامحه، من وجهة نظره وقتها، في معاكسة الشاب للسيدة في شوارع القاهرة وجراته على ان يقول لها وبلا خجل "نهارك سعيد يا هانم". رحم الله الكاتب الكبير ثروت اباظة (1927 – 2002) الذي توفي ولم يختبر ما وصلت اليه لغتنا وتعبيراتنا والفاظنا ليس فقط في المعاكسات ولكن في الخطاب اليومي والاعلامي والسينمائي والتلفزيوني وحتى الرسمي.

ان لغتنا العربية هي لغة راقية وهي التي جعلت الكثيرون يتساءلون كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم، وسحرها الفريد. وهي اللغة التي وصفت بانها لغة الضاد الكاملة المحببة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد

الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة. دعنا نتأمل الشاعر حافظ ابراهيم وهو يمجّد تفرد اللغة العربية قائلاً أنا البحر في أحشائه الدر كامن، فهل سألوا الغواص عن صدفاتي. لم نعد نحتاج برنامج الشاعر والاذاعي الراحل فاروق شوشة (1936- 2016) "لغتنا الجميلة" الذي بدأه عام 1967 بعد هزيمة يونيو مباشرة. كان برنامجاً يُعيد الصلة بالقيم المعرفية والتراث العربي والكنوز الشعرية والأدبية. وكان الشاعر شوشة يعمل فيه على تحليل النصوص الشعرية والأدبية للمستمع العادي رجل الشارع لكي يكسبه قدرات تذوق جمال اللغة العربية، لغة الوطن والمكان والإنسان والقرآن.

حاول ان تستمع الى احد حلقات برنامج "لغتنا الجميلة" ثم جرب ان تشاهد على موقع يوتيوب احاديث مسجلة لممثلات مصريات مثل فاتن حمامة او ماجدة او لبنى عبد العزيز او حتى راقصات مثل سامية جمال او تحية كاريوكا. شاهد وقارن افكارهم ولغتهم والفاظهم ليس مع احاديث ممثلات وممثلين وراقصات زمننا الحالي ولكن حتى مع ما يقدم حالياً في الخطاب التلفزيوني الاعلامي المعاصر ومسلسلاته وبرامجه وحوارته.

المشاهدة والمقارنة ستجعلك تدرك مستوى الانزلاق الذي وصلنا اليه ونحن نتنازل تدريجياً عن فهم اللغة كسياق للوجود واداة مبدعة للتعبير عن تحضرنا

علي عبد الرؤوف

وتطورنا ومواقفنا الاخلاقية والانسانية. الاشكالية هنا ان هذه القضية تمثل امتدادا لمفهوم التلوث الذي اصبح مفهوماً حاكماً في السياق العربي عامة والواقع المصري خاصة. لقد امتد مفهوم التلوث في بلادنا وتجاوز التلوث المادي بالنفائات والقمامة حتى في باريس الشرق ببيروت. كما تجاوز التلوث البيئي بعد تفوقنا في ضخ السموم في اجوائنا وانهارنا وبحيرائنا وحقولنا وبساتيننا. ثم تفوقنا في التلوث السمعي، واصبحنا نملك الريادة فيه بمستويات ضوضاء غير مقبولة اثرت بالقطع على معدلات ادراك الناس وتقهمهم لقيم الصمت والتأمل والسكينة. تجول فقط في احد شوارع مصر التي يستخدم فيها مزيج صوتي من النفير والزعيق وما يسمى غناء وكلاكسات السيارات وصوت محركاتها الآيلة للسقوط، فتجد نفسك امام معدلات غير مسبوقة من الاجهاد والتلوث السمعي. تصاعد مفهوم التلوث وتطور ليضم التلوث البصري الذي استباح عيون افراد المجتمع. لا توجد مرجعية لونية او تشكيلية لصاحب محل بقالة او خردوات او ملابس أو حتى كشك لبيع السجائر يعود اليها وهو يفعل كل ما يريد في لافتة محله المنقضة على الشارع والرصيف والعيون. او تأمل صاحب عمارة يصبغها بما يراه هو جميلاً ضارباً بعرض الحائط اذواق عشرات الالوف الذين تقتحم فجاجة الوانه عيونهم كل يوم وتلوثها. أو تأمل محصلة مجموعة من المباني في شارع ما وهي تتصارع وتتناقض بصرياً بصورة مؤلمة وتدفعك للتساؤل عن جدوى ان نكون احفاد الفراعنة علماء العمارة والعمران ومعلمي العالم اصول التشكيل البصري والنسب التوافقية والتناسق والهارمونية البصرية بكل ابعادها.

ثم اتمنا مشهد التلوث الاكبر بإضافة مكون جديد هو التلوث اللفظي الذي وافقنا فيه، موافقة جمعية مجتمعية، على اسقاط اللغة من منظومة تحضرنا وتميزنا بل وهويتنا وقيمتنا. لا ارفض هنا فكرة ان كل دولة بل وكل حضارة ومنها امريكا او المانيا او انجلترا لا يوجد بها لغة دارجة والفاظ شعبية. الفارق هو ادراك المجتمع ان هذه هي فعلا لغة استثنائية لارسمية شعبية، ولا يمكن ابدان تتحرك الفاظها وتراكيبها وتتسلل الى الخطاب الرسمي العام او الخطاب الاعلامي او الثقافي. فلكل سياق لغة ولكل دولة ايضا لغة استهلاكية شعبية ولكن الخطورة وكل الخطورة ان تتحول هذه اللغة ومفرداتها الرديئة وتلميحاتها البذيئة الى لغة الدولة الرسمية في اعلامها وجامعاتها ومدارسها وافلامها ومسلسلاتها وحتى في خطابات قادتها.

في واقعة قريبة كنت قد انتهيت من القاء محاضرة عامة عن عمارة وعمران المتاحف في الشرق الاوسط وكان حضورها مزيجا من الاكاديميين والمعماريين والمتقنين والمهتمين بالمتاحف ودورها في الحياة الثقافية. بعد انتهائي من المحاضرة اقترب مني البعض للثناء والتهنئة ثم حيائي اثنين من الاخوة المصريين. اندفع اولهم بحماس قائلا " بصراحة يا دكتور المحاضرة فشخ طحن". وسعادتك "طرقت" للراجل اللي سألك السؤال "طرقة مية مية". احمر وجهي واصابتني حشجة في حلقي بينما تصبب العرق بغزارة على وجهي، وانا غير مدرك لما يحدث. انتبه الاخ المصري الثاني وتقدم مني مسرعا وهو يقول:

علي عبد الرؤوف

"ما ترعلش يا دكتور، صديقي بيمدح فيك لكن بيدو حضرتك "ما روحتش مصر من فترة".

لم يكن اسلوب الاخ المصري العزيز حالة استثنائية فقد رصدت سيطرة ظاهرة التلوث اللفظي وهي تتصاعد من تمثيلات وبرامج تلفزيونية حتى ما عرض فيها في شهر رمضان. بل ان بعض حلقات الدراما المصرية الرمضانية تضمنت بل وتكرر بها الفاظ من نوعية: "ايه يا بت، مين الموزة دي؟، لأ يا روح امك". بل انني استمعت الى تعبير على لسان احد النجمات الشهيرات جدا وهي تقول في احد الحلقات: " لما تندهلي هأجيلك قبل ما تفتك (التقة هي البصاق) تنزل الارض". هذا هو التلفزيون وفي شهر رمضان. دعنا نترك المسلسلات والتمثيلات وننتقل الى البرامج الحوارية بنجومها الذين يُعرفون حاليا بلقب اعلاميين. ما بعد ثورة 25 يناير، أعطي الضوء الاخضر لهؤلاء الاعلاميين لاستخدام لغة ساقطة والفاظ سوقية لمهاجمة المرشح المدني الفائز الوحيد في تاريخ مصر. بعض البرامج تم تغليفها بغلاف كوميدي وبعضها اخذ المنحى الجاد. المذهل ان بعد عزل هذا الرئيس المنتخب وتولي رئاسة مصر مرة اخرى احد المنتسبين الى المؤسسة العسكرية، لم تتمكن هذه البرامج حتى مع وقف بعضها وتهميش حفنة من نجومها، من التوقف عن بث التلوث اللفظي في السياق المجتمعي المصري. بل ان هناك مباراة تنافسية استجدت بينهم وهي القدرة على الصراخ والزعيق والتهديد وبمعدلات ديسبيبيلية خارقة (الديسبيل هو وحدة قياس شدة الصوت).

كما ان قاموس الألفاظ السيئة والتراكيب اللغوية الفجة والمفردات الشعبية الرديئة امتد ليصبح هو السياق اللغوي الحاكم لهذه البرامج. الاكثر خطورة ان ضيوف البرامج وعلى الرغم من قدراتهم التعليمية والثقافية احيانا فانهم يتماهون وحيانا يسعدون ويتهجون ويثنون على خفة دم الاعلامي واسلوبه. اترك هذا المستوى وانطلق الى افاق الخطاب الرسمي المرصود من قبل مسئولين ووزراء بل وقضاة ومفكرين واكاديميين، ويدهشك السقوط اللغوي ليس في النحو والصرف ولكن في اختيار الالفاظ وتبني المشوه الرديء. ثم انتقل الى مستوى الخطاب الرئاسي الذي تتألق فيه مفردات مثل "لا مؤاخذه وهأوو".

كل منظومة التلوث بأبعادها السمعية والبصرية والمادية والبيئية يجب ان تتوقف لخطورتها الشديدة ولكن التلوث اللفظي توقفه ومقاومته حتمي ومصيري وواجب وطني لأنه تهديدا صريحا لكل القيم والمبادئ وهدم فعال لمعني الهوية والانتماء لان سقوط اللغة بكل بساطة ومباشرة هو سقوط حر وقد يكون أبدي للامة كلها.

منقول أو كوبيد cpd



هل نحن أمة تحب الصدق وتتحرّاه وتتحمّل تبعات الحرص عليه وتجنب نشر الغير موثق ومجهول المصدر وعديم المصداقية أم أننا أمة كسولة لا تنتج فكرا ولكنها تكتفي بنقله دون مراجعة أو تمحيص؟ ألا يعتبر الحرص على نشر الحقيقة وتحري المصداقية اجتهدا يثاب الإنسان عنه ويقدر معنويا واجتماعيا وأخلاقيا؟ في حقبة التدفق المعلوماتي واليسر الشديد في الحصول على ما كان مستحيلا فقط من سنوات محدودة من معلومات وقراءات وبيانات وإحصاءات، أجد نفسي أتساءل لماذا لا نحب في العالم العربي تحديد المصادر وتوثيقها والتأكيد عليها لأنها جزء من المصداقية والمهنية بل والالتزام الأخلاقي. لقد تضاعفت للشخص العادي الآليات والوسائل التي يتيقن من خلالها من مصداقية ومصدر الكلمة أو الصورة المنشورة. فقط بضغطة زر أو بالأحرى بلمسة على شاشة الكمبيوتر اللوحي يمكن أن نتيقن من مصدر النص المكتوب وتحديد كاتبه ومكان وتاريخ نشره. و بلمسة مشابهة يمكن أن تراجع مصدر الصورة ومصورها ومكان

تصويرها وتتأكد إذا كان تم التلاعب فيها بواسطة احد برامج تحرير الصور والمواد المرسومة.

في هذا السياق، دعونا نتأمل هذه التجربة الكاشفة عن التحولات في علاقتنا بالتحقق والتيقن مما ننشره. كنت قد تسلمت نسخة من بحث للدراسات العليا لنيل درجة الماجستير دعيت لفحصه كمتحنا خارجيا. استوقفني مرارا الكم الهائل من الصفحات والفقرات المنقولة حرفيا من كتب شهيرة في مجالات الدراسات المعمارية والعمرانية دون إشارة نهائيا لتلك المصادر. ثم أدهشني وجود صفحات كاملة من كتبي وأبحاثي دون الإشارة إلى المصدر. بل يبدو كل هذا مقبولا أو بالأحرى متكررا في السياقات الأكاديمية العربية التي وللأسف اشتهرت بأعلى معدلات السطو البحثي والأكاديمي. ولكن ما لم أتوقعه أبدا هو تفسير الطالبة حين تساءلت قائلا ألم يكن من المهم ذكر هذه المصادر؟ كانت إجابتها السريعة والخاطفة وشديدة الدلالة هي: هذه كتابات منقولة يا دكتور وأنا ذكرت في المقدمة أن بعض ما في البحث منقول. ثم استمرت في تنبيهي للحقبة الجديدة حين أضافت يعني كوبيد بالإنجليش يا دكتور مثل حالة المداخلات والمقالات في الفيسبوك. شكرتها على جهدها التتوييري مع شخص منغلق ومحدود ويبدو انه غير منقول مثلي.

علي عبد الرؤوف

إن كلمة أو تعبير منقول الذي يبدأ به الكثيرون أو ينهوا مداخلاتهم على شبكة التواصل الاجتماعي ليست فقط مقلقة ومضلة ولكنها أيضا تسبب راحة مزيفة للضمير الهش والعقل المقيد. فالإنسان العربي المعاصر النشط على شبكات التواصل الاجتماعي أصبح سعيدا وراضيا بإضافة كلمة منقول لأنها تزيح عن كاهله كل تبعات محتوى الكلام المنشور وأهدافه ونتائجه. كما أن هذه الكلمة الصغيرة رباعية الأحرف، تقدم له على طبق من ذهب تبريرا رائعا إذا واجهه قارئ مدقق كاشفا عدم مصداقية المطروح لأنه يملك الإجابة السحرية عندما يقول لقد كتبت في المقدمة انه منقول.

كنت قد رصدت سابقا مرحلة لجأ فيها الفاعلين على شبكات التواصل الاجتماعي لحيلة أخلاقية مريحة وهي نشر معلومات متيقنون هم تماما من زيفها ولكنهم يبدعون بجملة "ممكن تأكيد هذا الكلام من فضلكم". كانت هذه هي الجملة السحرية التي تسبق كل الأكاذيب والافتراءات والشائعات والنهش الأخلاقي في أجساد أبرياء. وعندما تعترض وتستنكر، يكون الرد الم تلاحظ أنني بدأت قائلا مطلوب التأكيد. ولكن الحالة او المرحلة التي انتقلنا إليها الان أكثر خطورة لأنها لا تبرر تبني الغير صادق فقط ولكنها تسقط حقوق الملكية الفكرية وتقدير أنتاح العقول والحرص على تقديم نموذج لعدم الاكتراث بالتأصيل والتوثيق والكشف عن المصادر.

قد يعتقد البعض أن القضية بسيطة ولا تستحق التركيز أو الاهتمام ولكن الواقع بل والمثير في تأمل هذه الظواهر وانتشارها المتسارع أنها تنتقل من حالة شبكات التواصل الاجتماعي إلى حالات أكثر رسمية مثل شبكات الإعلام والجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية. ثم كما أوضحت في بداية مقالي لحالة الأوساط الأكاديمية المعرفية. خطورة هذا التوجه أن تشكيل الوعي المجتمعي بل وتشكيل الرصيد المعرفي يمكن أن نكتشف في النهاية انه مرتكز على مجموعة من المداخلات أو المقالات أو الأطروحات عديمة المصدر والتي لم ينشغل القارئ ولا الإعلامي المهني ولا الأكاديمي المدقق في فحصها وتمحيصها والتيقن من مصداقيتها والتعرف الكامل على كاتبها أو محررها. لا يوجد خطرا يهدد أي امة أكثر من أن تكتشف أن عملية تشكيل وعيها وإدراكها وأفكارها واختياراتها وتوجهاتها العاطفية والعقلانية مرتكز على مجموعة كيانات مزيفة ومنقولة ومجهولة المصدر.

أختي النشيطة، أخي النشط على شبكات التواصل الاجتماعي، أرجوكم ابتعدا تماما عن استخدام كلمة منقول وبالإنجليزية كوبيد cpd في مداخلتكم لأنكما لا تساهما فقط في إسقاط حقوق الآخرين الفكرية والإبداعية ولكنكما وأحيانا دون أن تدريان تساهما في تزييف وعي الشعب والأمة. كما أنكما تؤصلا لفكرة الارتكاز على رصيد عديم او مجهول المصدر في صياغة توجهاتكم واختياراتكم.

"محمد صلاح": بذرة النجاح أم منظومة النجاح؟



هل تحليل ظاهرة النجاح وتحديد أسبابه ودوافعه ومنهجية أستمرايته يجعلك عدواً للنجاح أم مواطناً مخلصاً يسعى إلى نهضة مجتمعه وأمته؟ هذا التساؤل يتبلور دائماً عندما نستشعر كيف تتم مواجهة بعض المحللين المتسائلين عن مبررات النشوة التي تعترينا عندما نتلقى اخبار نجاحات أبناء أوطاننا الذين غادرونا منذ سنوات أو عقود. تأمل مثلاً حالات فارقة في السياق المصري مثل الكيميائي احمد زويل والجيولوجي فاروق الباز والطبيب مجدي يعقوب حين يتم طرح سرديّة مستهلكة عن أن تميزهم يعود لمصريتهم وخامتهم الفريدة التي شربت من نهر النيل. ولكننا لا نوسع آفاق النقاش ابداً لنتساءل ماذا حدث لهم في مصر قبل رحيلهم، وماذا حدث منذ لحظة وصولهم إلى أرض الغرب المُستقبل المُحتضن.

دعنا نتجاوز الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والطب وننتقل إلى العالم الذي تعشقه الأمة العربية، عالم كرة القدم. كنت قد قررت الانتظار قليلاً حتى تهدأ

نشوة انتصارات بلدي مصر الغير مسبوقه في عالم كرة القدم على مستوى قارة افريقيا، والتي انتهت بالحصول على ثلاث جوائز افضل منتخب وافضل مدرب وافضل لاعب. أيضا قررت ان اتجاوز الفارق المذهل في الاحتفاء بجائزة احسن لاعب مقابل الفرحة الخافته بالجائزتين الثانيتين. وقررت فقط ان احاول استخدام نموذج اللاعب المصري الفذ محمد صلاح ليقدم حالة دراسة يقينية عن الفارق بين بذرة النجاح ومنظومة النجاح.

نعم، ما يعينني هنا ان اوضح اهمية الفارق بين بذرة النجاح ومنظومة النجاح لان الخط بينهما مضلل بل واحيانا مُعرض وخادع. ومن هنا تأتي اهمية التعريف الجيد للمصطلحين والتمييز الواضح بينهما. كل دول العالم بلا استثناء بسياقاتها الثقافية والجغرافية والتاريخية، والاهم البشرية تفرز الكثير من بذور النجاح. بذرة النجاح هي انسان واعد يملك القدرات والاصرار والرغبة على التعلم والتطور والتفوق والتميز ويتطلع الى المساندة والاحتضان والرعاية. الاشكالية ان هذه البذور اذا استمرت في تربة جافة متشققة ومسممة احيانا، تنتهي الى الضمور بل والموت حتى قبل ان تخرج منها فروعها الاولى. هذه التربة التي نتفنن احيانا في رعايتها لتستمر جافة رافضة محبطة ولا نقدم نفس القدر من الرعاية والاهتمام لنجوم بازغة لا تحتاج الا القليل من التقدير والرعاية والتحفيز. الموثق تاريخيا واقليميا ومحليا، انه اذا اتيح لبعض هذه البذور ان تنتقل الى بيئات اخرى تتميز بمنظومة النجاح المتكاملة الشاملة فهي التي تحول هذه البذور الى

علي عبد الرؤوف

نباتات يافعة ثم الى اشجار باسقة مثمرة. منظومة النجاح هنا يقصد بها الايمان الجمعي على مستوى المجتمع وعلى مستوى الانظمة الحاكمة بان هذه البذور الواعدة تستحق كل الرعاية وبالتالي تتكاتف كل مؤسسات وانظمة بل وافراد الشعب لرعايتها وحمايتها والتمتع والفخر بنجاحاتها وانجازاتها. ومن هنا يكون فرحهم فرحاً مستحقاً لانهم بالفعل شركاء في النجاح مع سبق الاصرار والترصد.

إذن اللاعب المتميز محمد صلاح في رأيي المتواضع كان بذرة نجاح واعدة في السياق المصري، مكنته الظروف وذكائه وذكاء عائلته من الانتقال الى والالتصاق والالتحام مع منظومة النجاح التي تقدم له اطروحات جديدة في معنى الالتزام والجدية وحرفية التدريب ومسئولية المتدرب والاحترام والتقاني والاجتهاد والتعلم المستمر والتواضع اللانهائي لأنه في مكان به عشرات بل ومئات النجوم التي يفرق بينهم فقط جهدهم واخلاصهم وتقانيهم. كان من الجائز جدا ان يبقى محمد صلاح في مصر فيتعرض لسوء التقدير من اداريين محدودين او مدربين عديمي الكفاءة او ان يصاب ويُشخص ويُعالج بصورة خاطئة او ان يقلد النجوم المحليين وهم يعتقدون انهم يسировون على السحاب وانهم انصاف إلهة فلا يحضرون التدريبات ويمضون مع النارجيلة اوقاتا اكثر مما يمضونها على البساط الاخضر. كان ممكن ان يكون ضحية رئيس نادي محدود القدر والعقل يمنعه من اللعب لأنه من عائلة متواضعة او ان يكون ضحية لواء في اتحاد الكرة لم تعجبه طريقته في تحيته فقرر ان يضعه على القائمة السوداء. اذا كنت متشككا في ملامي فتذكر أو تأمل الكم الهائل من الشباب العربي والمصري فقط في مجال

مثل كرة القدم الذين كنت تتوقع ويتوقع الكثيرون انهم سيكونوا نجوم النجوم وانتهى الحال بهم مهمشين منبوذين وانطفأت شموهم مبكراً.

إذن ما أريد التأكيد عليه انني فخور بمحمد صلاح ليس فقط لأنه مصري، ولكن لأنه أدرك أهمية الانتقال من حالة بذرة النجاح مجهولة المصير إلى الانضمام الى سيمفونية منظومة النجاح حتمية التفوق. ارجوكم لا تخذعوا انفسكم بالخلط بين بذرة النجاح ومنظومة النجاح، فالواقع ان في مصر كما في العالم العربي وكل العالم نمثلك الالاف من بذور النجاح ولكننا في مصر والعالم العربي مازلنا شديدي العجز عن صياغة منظومة النجاح، بل احياناً نتعمد ان نكون منظومة مضادة ومتماسكة من اعداء النجاح. اتمنى ان نجعل فرحتنا بمحمد صلاح مولدة للطاقة الايجابية والرغبة الجماعية الواعية في ان نملك ايضاً منظومة النجاح وليس فقط بذور النجاح. دعونا نتجاوز فكرة اننا دائماً اكبر مؤامرة على انفسنا وعلى بذور النجاح.

رمضان بين المصصة والمحصة: عذرا.. لن أهتكم بقدوم شهر رمضان!



لا يوجد أي مستوى من الشك أو الريبة في الاعتقاد الكامل ان شهر رمضان هو شهر متميز به بركة وعبق روحاني واقتراب من الله وسعي الى فعل الخير واستيعاب لفلسفة مخالفة في معنى الزهد وتفعيل ارادة الرفض. ولكن المراقب لحال الامة العربية والاسلامية المعاصرة يلحظ تحولا نوعيا في معنى الاستعداد والحشد والتهيئة النفسية والروحانية بل والمجتمعية للشهر الكريم. ومن هنا قد يكون من المشروع ان نتسأل لماذا نحب رمضان؟ وما هي قيمة رمضان؟

دعنا ننغمس في تأملات رمضانة ونحن على بوابة الشهر الفضيل. بداية فان من محاسن هذا الشهر انه يدعو القادر والغني الى الإحساس بالفقراء، يقينا ان هذا لا يتحقق لان معدلات الاستهلاك الموثقة في العالم العربي تتضاعف في رمضان. لنترك معدلات الاستهلاك ومظاهرها ونتحرك الى رحاب العمل والانتاجية والابداع والاخلاص والمساهمة في رفع مستوى المجتمع والامة فكريا واقتصاديا

وعلميا. يدهشنا ايضا ان هذا الهدف يتداعى امام حقيقة ان شهر رمضان هو شهر
اللا عمل ، وشهر عدم الانتاج وشهر اللهم اني صائم وبالتالي لا اعمل ولا أنتج
ولا افكر وتجنبوا عصييتي وثورتي لأتقه الاسباب. ولكننا في رمضان وفجأة
نصلي بانتظام في المساجد ونقرأ الكثير من القرآن ونزيد من الصدقات وفي نفس
الوقت تفسر سلوك وعدوانيتك وقسوتك وعدم احترامك للقانون بقولك الشهير: انا
صائم. ولكن هل فكرنا في ان القيمة الحقيقية من شهر رمضان ان يتحول سلوكنا
الإنساني والروحاني والاجتماعي في هذا الشهر الفضيل الي سلوكا عاما ونمطا
سائدا في كل شهور العام.

احيانا انبهر ممن يتوقف عن افعال ما بحجة أننا في رمضان. اذا كنت تخجل من
هذه التصرفات في رمضان ، كيف تسمح لنفسك بفعلها بعد رمضان؟ هذا اعلى
مستويات النفاق. شهر رمضان ومن وجهة نظري المتواضعة هو فرصة ونعمة
من الله سبحانه وتعالى ليساعدك على ان تحول حياتك الى رمضان مطول وممتد
بشرط مصداقية القناعة. اما فكرة ان انا ماسك نفسي علشان رمضان وبعد كده
طالع الساحل في العيد علشان توتو جايب لنا نبيذ تحفة من فرنسا. او انا بإقلع
الحجاب اول يوم العيد علشان حفلة الساحل الشمالي. فهذا يدخل في بند العبادة
الموسمية اللطيفة المسطحة القشرية. اضحك على الجميع ولكنك لن تضحك على
نفسك ولن تضحك على الله سبحانه وتعالى. هل نملك الارادة لنقول ان شعار

علي عبد الرؤوف

المرحلة القادمة هو شهر رمضان فقط ٣٦٥ يوما ، وان ننهي تماما المفهوم الساذج ان رمضان هو الامتناع عن الاكل وملذات اخرى لمدة عدة ساعات.

دعنا نتحول الى قيم اكثر تعقيدا مثل الصدق وقول الحق، وهي قيم يرقى لها المسلم المخلص الصائم المقرب من ربه. دعنا مثلاً نتأمل محمد رسول الله، سيد الخلق والموصوف بانه على خلق عظيم حيث كان يردد دائما دعاء يقول فيه: "اللهم ارزقني لسانا صادقا". تخيلوا رسول الله يتوسل الى الله سبحانه وتعالى لينعم عليه بصدق اللسان. انا فقط احاول ان اتخيل ماذا يحدث لو قمت بصيام كل رمضان لأعوام مطولة وقمت بأداء ثلاثين عمرة وسبعة عشر حجة وسبعين مائدة رحمن ودخلت الجنة. كيف تطالع وجه رسول الله وهو يستمع اليك تقول بلسان الصائم "ويتميّز الزعيم الاوحد برؤية ثاقبة وقدرات قيادية فارقة ومنهج اقتصادي غير مسبوق ومعدلات إنجاز مبهرة وحب للحرية والعدالة وانحياز للحق والعدل وكرامة الانسان وتبنيه لطفرة سياسية علمية ثقافية بحثية، وقدرة ملفتة على الدراسة العميقة لقراراته. رجل ارسله لنا الله ، ومقامه مقام الرسل، لكننا لا نستحقه لأننا شعب فقير كسول". هل يجوز فقط على سبيل الاستفزاز الفكري والقيمي ان نتخيل هذا الموقف ونتخيل ايضا رد رسول الله عليه الصلاة والسلام وكيف سيكون.

ما بعد إمام وما قبل رامز وأمام يسرا وخلف ديننا ومتجنبنا إنتصار "

أنن رمضان شهر الصدق، وبمنتهى الصدق لا اجد اي مبرر لان اهني نفسي او عائلتي او أساتذتي او زملائي بقدم شهر رمضان. ممكن ان اتمنى لكم جميعا الصحة والسعادة وطول العمر ولكني لا استوعب ابدأ ما هي قيمة التهنة بشهر رمضان ونحن نبدع في افراغ رمضان من كل شيء. كل سنة وبصورة متسارعة ، نحن نتدنى وننزلق ونبتعد. كل سنة نعترض ثم نتوقع امام السخافات الرامية والتجاوزات الهيفائية والمسلسلات من آل أمام، ويسرا والفخراي والكاميرا الخفية والطبخ بدون تقلية. تخيلوا اننا وبكل إرادة جعلنا هؤلاء نجوم ومليونيرات رمضان، ومحاور جلسات لا تنتهي امام شاشات تليفزيونية بغیضة تحول الانسان الى متلقي لكل هذه التجاوزات والسخافات التي تسمى برامج ومسلسلات الشهر الفضيل وهي كلها جرائم مع سبق الاصرار والترصد لقتل قيمة الشهر الفضيل وقيمه وامكانية التعلم العميق منه ومن طقوسه وشعائره وفلسفة جماعيته وحساسيته نحو الفقير والمحتاج وضعيف الارادة. بل ان احد بطلات المسلسلات تركز حملتها الدعائية على شعار: ما تيجي نرقص.

ها نحن نبدأ اليوم الاول من رمضان ولكن المذهل والمؤلم انه فقط وقبل رمضان بليلة قتل عشرات الفلسطينيين ومنهم النساء والأطفال فاكتفينا بممصمة الشفايف. وقبل رمضان بليلتين، افتتحوا سفارة امريكا في القدس، فتوجهت جموع الامة الى محمصه العروبة لشراء ياميش رمضان. وقبل رمضان بكام ليلة لم ترضى اسرائيل الا بميدان التحرير لتحفل من شرفة علوية بذكرى سحقها

علي عبد الرؤوف

جيوش العرب وتنشط بالكامل الفصل الاخير من ثورة 25 يناير التي تبلورت
احداثها المقدسة في عمق نفس الميدان وفضائه الرحيب.

ما بين المصمصة والمحمصة في الليالي الرمضانية الممتدة، اجد نفسي متفقاً
تماماً مع هيفاء في ندائها العميق الكاشف: ما نيجي نرقص.



الفيس بوك واليد الزرقاء والدائرة الصفراء



بدأت الحكاية عندما توجهت إلى عاصمة عربية لإلقاء محاضرة في احد جامعاتها، وفاجأني اتصال من أخ صديق حميم لم أراه من خمس سنوات مصراً على دعوتي للعشاء. سعدت كل السعادة وتلھفت للقاء، وفي المساء توجهت إلى منزل أصدقائي، عائلة رائعة: الأب والأم وولد وبنت في عمر المراهقة. رحبوا بي وجلست ثم استغرقت في الاجابة عن سؤال مساعدة المنزل اللطيفة: ماذا تريد ان تشرب؟ شكرتها وطلبت قهوة وكوب من الماء. حوار بسيط لم يستمر أكثر من دقيقة. وعندما انتهيت وألنقت حولي وجدت كل من أفراد الأسرة العزيزة الأربعة وبتدرج إيقاعي مبهر وخاطف، يلتحمون مع تليفوناتهم الذكية أو الحواسيب اللوحية "الإيباد"، وفي خلال دقائق معدودة، أو على الاقل اعتقدت ذلك، أصبحت محاطا بعائلة أحبها كل الحب ولكنها غادرتني وأنا في قلب بيتهم دون أن يخطوا خطوة واحدة للخارج. لم يغادروني فقط، ولكن بعضهم كان ينظر الى الشاشات

علي عبد الرؤوف

الصغيرة وبيتسم متحاوراً مع الصديق الرقمي البعيد. بل أن الابن انطلق فجأة في ضحكة عالية ولمرات متعددة، ثم تجهم واستمر ناظراً للشاشة. استمرت هذه الحالة لقراءة الخمس وأربعين دقيقة، نعم أكرر خمسة وأربعين دقيقة من الانفصال والعزلة ارتشف فيها من القهوة وأتأمل العائلة التي أحبها واتطلع للحوار معها بعد خمس سنوات من البعد المكاني. انتهت حالة الاستغراق "الشاشاتي" فقط عندما سمعوا مساعدة المنزل اللطيفة تقول للمرة الثالثة العشاء جاهز.

تقدمت للعشاء وأنا اتسأل: يا ألهي ماذا فعلت بنا يا مارك زوكربيرج؟ من حوالي ثلاثة عشر عاماً كان ميلاد الحدث الذي يبدو الأكثر أهمية في القرن الواحد والعشرين، حيث كان ميلاد الفيسبوك أسطورة التواصل الاجتماعي!! واليوم يحتفل مارك زوكربيرج بوجود حوالي اثنان مليار مستعمل شهرياً، ومتوسط 1.2 مليار مستعمل يومياً. وإن معدل انشاء الصفحات على فيسبوك أصبح خمسة صفحات كل ثانية واحدة!! كل سنة وأنت طيب مارك زوكربيرج العبقرى فيقينا أنك جعلت الملايين تتواصل. واليوم ونحن نحتفل بإكمال أكثر من عقد كامل على هذا المولود المميز الذي جاء للعالم فقط في فبراير عام 2004، يستوقفني ما فعله بنا الفيسبوك. لقد اندمجنا في تجارب غير مسبقة من الألفة والصداقة والحب والرفض والوهم والزيغ بل والكذب (يوجد قرابة 90 مليون حساب مزيف على الفيسبوك). لقد شعرنا بالنشوة أننا نملك مئات بل أحياناً الآلاف من الأصدقاء بصرف النظر عن أن أكثر من نصفهم وأحياناً معظمهم، لن نعرفهم إذا

قابلناهم في الطريق او على المقهى الحقيقي. جعلك الفيسبوك تضغط على علامة لايك (اليد الزرقاء) ليس بالضرورة للفكرة المطروحة وايمانك بها وقناعتك بمضمونها. ولكنك تفعل بسبب اسم من كتبها او مجموعة الأصدقاء الذين وافقوا عليها، حتى تبقى في الدائرة التي نالت الرضا الفيسبوكي. منحك الفيسبوك سائراً كثيفاً من الخصوصية الوهمية والعزلة الهشة حيث يتيح لك بسلاسة تزييف حقيقتك فتضع الدعاء القرآني والحديث النبوي والأمثال الدالة والصور الأبوية ومقتطفات المشاعر الإنسانية فتتحول الى المثالي الروحاني. او تهاجم بقسوة وتهين بشدة وتهدر الكرامة فيهباً لك انك القوي المنتصر وتحفل بانتصارك الفيسبوكي الزائف. أو تتجاوز بنعومة حتى لا تصاب بلعنات (الانفريند: الازاحة من قائمة الاصدقاء والبلوك: الأعدام حذفاً). وفي كل هذه الحالات أنت مدرك تمام الادراك ان الطرف الآخر موجود وليس موجود. حقا فقد منحك الفيسبوك جرأة تجاوز لا يمكن ان تقدم عليه لو انت تنظر إلى عين من تسبب له الالم.

جعلنا الفيسبوك نجلس سويا بدون أن نكون سويا، طالما اندمج كل منا في حياته الثانية (الحياة الفيسبوكية). حتى المشاعر الإنسانية العميقة استبدلت استبدالا مثيراً ومحبطاً على صفحات الفيسبوك. فالابتسامة التي تسعدك من قريب أو صديق أو طفل بريء تحولت إلى فقاعة صفراء وخط منحني (الدائرة الصفراء). وتكاتف الآراء وتفاعل وجهات النظر استبدل بيد زرقاء. إما التعبير عن الحب فقد اختزل إلى قلب احمر. بل ان القبله، أجمل وسائل التعبير الحسي عن المشاعر الإنسانية

علي عبد الرؤوف

تحولت إلى شفتين ورديتين. لا أنكر أبدا قيمة الفيسبوك وأنا شخصياً أدين له بنشر أفكارى وكتاباتي، ولكنني في الوقت ذاته لن اسمح له أبداً ان يجعل حياتي الثانية (الحياة الفيسبوكية) هي حياتي الأولى (حياتي الإنسانية). أرجوكم لا تتنازلوا أبدا عن حياتكم الأولى فلا شيء على فيسبوك يعوض الابتسامة الحقيقية، او سماع كلمات الحب تصدر من إنسان يعني لك كل شيء، او تلقي قبلة من اب او ام او بنت او ابن او زوجة تعبر عن مشاعر راقية دافئة متدفقة صادقة غير مستترة وراء ضبايبات الفيسبوك.

أرجوكم إذا وافقتم على كلامي هذا فأرجوكم لا تدوسوا لايك. لا أريد زرقاء او دائرة صفراء ولكن خذوا زمام المبادرة. مر على جارك وقل له انك سعيد بوجوده حولك وحول عائلتك حتى لو لم يضع لك علامة لايك على بوستانك الفيسبوكية. اتصل بصديق من أحبائك واطلب منه ان تلتقيا لتشربوا القهوة، وتبتسموا ابتسامات حقيقية وضحكات من القلب. اطلب زوجتك وادعوها إلى العشاء ومد يدك إلى يدها واشعر بدفء أصابعها الذي لن يحققه الفيسبوك ابدا. انظر بعمق إلى عيون اولادك وقل لهم كم انت فخوراً بهم، ثم ضمهم الى صدرك بقوة. انحني امام امك لترى حبك الحقيقي لها الذي لن يستبدله ملايين القلوب الحمراء التي ترسلها لها عبر الفيسبوك.

كل سنة وانتم طيبين ومتمتعين بالحياة الأولى ومستمرين في الحياة الثانية.

الكاتب



الأستاذ

الدكتور علي عبد الرؤوف معماري ومصمم عمراني ومخطط وناقد وكاتب وأستاذ جامعي، حصل على الدكتوراه في دراسة الإبداع المعماري والعمراني من جامعتي القاهرة وكاليفورنيا، بيركلي بالولايات المتحدة عام 1996، وعلى درجة الماجستير في النقد المعماري والعمراني وبكالوريوس العمارة من جامعة القاهرة. يملك د. عبد الرؤوف أكثر من ثلاثين عاما من الخبرة الأكاديمية والبحثية والاستشارية، وقد شغل منصب رئيس قسم العمارة في جامعة العلوم والفنون، كما عمل منسقا لبرنامج التخطيط العمراني بجامعة قطر. وقام د. عبد الرؤوف بتدريس التصميم والنقد المعماري والعمراني ونظريات العمران وتخطيط المدن في عدة جامعات أهمها القاهرة، البحرين، قطر، حمد بن خليفة، والعلوم الحديثة والفنون. وتتعدد الاهتمامات البحثية له لتشمل المجالات التالية: مدن الخليج المعاصرة، الفراغات العامة في مدن الربيع العربي، عمران ما بعد البترول، القيمة الإبداعية للتراث المعماري والعمراني في المدن العربية. وقد حصل د. عبد الرؤوف على عدة جوائز محلية وإقليمية في العمارة والتخطيط والنقد والبحث العلمي، ونشر أكثر من 95 ورقة بحثية ومقالات وتقارير فنية منشورة في المؤتمرات الدولية والدوريات العالمية. كما تم دعوته لإلقاء محاضرات في جامعات أكثر من 25 دولة أهمها كمبريدج وكلية لندن بإنجلترا وأوريغون ودروري وشيكاجو وأمريكا ولييزج بألمانيا وماليزيا وسيول بكوريا ولوفن في بلجيكا واسطنبول وعبد الله جول بتركيا وصربيا والجامعات الأمريكية في الشارقة والكويت ولبنان ومعظم جامعات الخليج. كما انه مؤلف مشارك في عدة كتب باللغة العربية والانجليزية ومؤلف منفرد لكل من كتاب النقد المعماري ودوره في تطوير العمارة المعاصرة 2014، وكتاب من مكة الى لاس فيجاس: اطروحات في العمارة والقداسة عام 2014، وكتاب المدينة والعمارة والرواية (2016)، وكتاب مقالات نقدية في العمارة المصرية (2016)، وكتاب ميدان وثورة وشعب: القصة المعمارية والعمرانية لميدان التحرير (تحت الطبع 2016). بالإضافة إلى مساهماته المنظمة في العديد من المجالات المعمارية والثقافية. للتواصل: alialraouf@gmail.com

علي عبد الرؤوف



خيمياء العمارة، الناس والأماكن

<http://analchemistryofarchitecture.blogspot.qa/>

An Alchemy of Architecture, People and Places

